منهجية الخشت التأويلية فى الدين والميتافيزيقا
"هيوم أنموذجًا"

سعيد على عبيد
مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة
كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادى

الملخص:

يدور البحث حول منهج التأويل الذى أضفاه الخشت على فلسفة هيوم، فلم يتوقف تأويل الخشت عند حد الميتافيزيقا، بل قام الخشت بتفكيك الفكرة التقليدية التى رسخت فى عقول الباحثين حول فلسفة هيوم بصفة عامة، والميتافيزيقا بصفة خاصة، حتى رأينا الخشت يقدم هيوم فى ثوبٍ جديدٍ لم نكن نألفه من قبل فى الكتابات الغربية التى تناولت هيوم، وذلك من خلال استخدام الخشت لمنهجه التأويلى، وهو ما أثبته الخشت فى مقدمة دراسته – عن هيوم وكانط – بقوله "أن تلك البحوث عن هذين الفيلسوفين لا تخرج عن كونها عرضًا أو تقديمًا لفلسفتيهما، وكأن كل فيلسوف منهما بعد أن عبر عن فلسفته بلغته الوطنية فى القرن الثامن عشر، يعبر عنها هنا الآن باللغة العربية". وبالتالى يمكن القول أن منهجية الخشت التأويلية أظهرت لنا هيوم داعية للميتافيزيقا العلمية، وذلك بعد أن ظهر هيوم فى الكتابات العربية والغربية على السواء بأنه الفيلسوف الذى نادى بتهافت الميتافيزيقا.

الكلمات الدالة:

الخشت – هيوم – التجربه – العقلانيه – التفسير – الميتافيزيقيا – الدين.

Abstract :

This research tackles method of interpretation which Al-Khosht has added about Hume's philosophy. Al-Khosht's interpretation has not been limited to metaphysics, but he has deconstructed the traditional notion which has been constructed in researchers' minds about Hume's philosophy in general and metaphysics

منهجية الخشت التأويلية فى الدين والميتافيزيقا "هيوم أنموذجًا" ، المجلد السادس، العدد ٤، أكتوبر ٢٠١٧، ص ص ١٨٩-٢٣٢.

in particular. Al-Khosht has introduced Hume in a new methodology of his interpretative method; this has been proven in his study introduction about Hume and Kant through his quotation "Those researches about these two philosophers are not but representation of their philosophers, as each one of them has expressed his philosophy in his national language in the 18th century and is expressing his philosophy now in Arabic". Therefore, it could be said that Al-Khosht's interpretative methodology has illustrated that Hume calls for scientific metaphysics. This is after being shown in both western and Arabic books as being the philosopher who calls for refutation of metaphysics.

Keywords:

Al-Khosht – Hume – experientialism – rationalism – interpretation – metaphysics – religion.

مقدمة البحث:

فى منتصف القرن العشرين الميلادى لُقّبَ الفيلسوف الإنجليزى برتراند رسل بأنه الفيلسوف الموسوعى، وذلك لتنوع كتاباته الفلسفية والعلمية، فقد كتب فى جميع مجالات الفلسفة إلا مجال علم الجمال وفلسفة الفن، وعليها لُقّب رسل بالفيلسوف الموسوعى، وبناء على ذلك فإنى أقول إن ما ينطبق على رسل فى القرن العشرين ينطبق بالضرورة على الأستاذ الدكتور: محمد عثمان الخشت فى القرن الحادى والعشرين، فهو بالفعل المفكر الموسوعى الذى لم يترك مجالًا من المجالات العلمية والفلسفية والدينية إلا وكان له الرأى فيها والتعليق عليها، فتنوعت كتاباته العقلانية والتأويلية، على نحو ما يظهر ذلك من خلال مؤلفاته فى مجال الفلسفة الحديثة والمعاصرة، وكذلك فلسفة الأديان، كما أنه نادى بتجديد الخطاب الدينى حتى يُخلص الجنس البشرى من أوهام الإرهاب والتفكير الدوجماطيقى وكذلك الفهم الخاطىء للدين، أضف إلى ذلك أنه كان صاحب رؤية جديدة فى فلسفة الأخلاق، فبأخلاق التقدم تحول الفكر الأخلاقى من التنظير إلى التطبيق.

وتكمن أهمية البحث هنا فى محاور أربعة، أولها: ما جاء على لسان الدكتور حسن حنفى فى تصديره لرسالة الماجستير الخاصة بالدكتور: محمد عثمان الخشت فى قوله "تقدم هذه الدراسة رؤيةً جديدةً لتاريخ الفلسفة الغربية

تتجاوز الصراع التقليدى منذ بداية العصور الحديثة"، كما قال أيضًا – د. حسن حنفى عنها – " فى هذا العصر الذى تتكاثر فيه الدراسات وتتكرر المادة العلمية تبدو هذه الرسالة فريدة من نوعها، لما تتميز به من موقف فلسفى نتفق عليه أو نختلف. وما أحوجنا إلى مثلها فى عصر تعز فيه المواقف". أضف إلى ذلك ما قاله الدكتور: مراد وهبة – أثناء مناقشة هذه الرسالة – إنها إبداع فلسفى أصيل.

ويكمن المحور الثانى من محاور البحث: أن الخشت قدم فى مجال البحث الميتافيزيقى عدة كتابات، وكلها اتصفت بالعمق والشمول، بالإضافة إلى كونها تتصف بالبساطة والوضوح، فهى كتابات يمكن وصفها بأنها- ديكارتية الطابع- وذلك من حيث وضوح الفكرة الفلسفية وعمقها، ومن أهم هذه الكتابات:"الميتافيزيقا بين هيوم وكانط"، "الميتافيزيقا قراءات نقدية"، " العقلانية المغلقة أو الدوجماطيقية"، "الفلسفة الحديثة: قراءات نقدية"، "الدين الطبيعى عند هيوم".

ويكمن المحور الثالث وراء اختيار البحث، وهو ديفيد هيوم (١٧١١- ١٧٧٦م) D. Hume فمن المألوف لدى دارسى الفكر الفلسفى أن هيوم – فيلسوف تجريبى صارم – هذا ما دأب عليه باحثو العرب والغرب على السواء، فدائمًا يرددون عنه أنه الفيلسوف الأول الذى دقّ شعاب الرفض نحو استبعاد الميتافيزيقا، بل يقولون إنه الفيلسوف الذى هدم الميتافيزيقا، وكان النواة الرئيسة لمن بعده من الفلاسفة فى تقويض وهدم الميتافيزيقا، معتمدين فى ذلك على كونه فيلسوفًا تجريبيًّا صارمًا، أضف إلى ذلك أن هيوم يقبع ضمن الفلاسفة المؤمنين بالطبيعة والدين الطبيعى، بالإضافة إلى اهتماماته العلمية والأخلاقية، فهو فيلسوف العاطفة الأخلاقية.

أما المحور الرابع: وهو يكمن فى التأويل الجديد الذى أضفاه الخشت على فلسفة هيوم، فلم يتوقف تأويل عند حد الميتافيزيقا، بل قام الخشت بتفكيك الفكرة التقليدية التى رسخت فى عقول الباحثين حول فلسفة هيوم بصفة عامة، والميتافيزيقا بصفة خاصة، حتى رأيناه يقدم هيوم فى ثوبٍ جديدٍ لم نكن نألفه من قبل فى الكتابات الغربية التى تناولته، وذلك من خلال استخدام الخشت لمنهجه التأويلى، وهو ما أثبته فى مقدمة دراسته – عن هيوم وكانط – بقوله "إن تلك البحوث عن هذين الفيلسوفين لا تخرج عن كونها عرضًا أو تقديمًا لفلسفتيهما، وكأن كل فيلسوف منهما بعد أن عبر عن فلسفته بلغته الوطنية فى

القرن الثامن عشر، يعبر عنها هنا الآن باللغة العربية". وبالتالى يمكن القول إن منهجية الخشت التأويلية أظهرت لنا هيوم داعية للميتافيزيقا العلمية، وذلك بعد أن ظهر هيوم فى الكتابات العربية والغربية على السواء بأنه الفيلسوف الذى نادى بتهافت الميتافيزيقا.

ومن خلال هذه الدوافع تكونت الإشكاليات المتعلقة بموضوع البحث، والتى على غرارها جاء عنوان البحث "رؤية الخشت التأويلية لفلسفة هيوم"، وأهم هذه الإشكاليات:

١. إلى أي حد ظهر هيوم فى الكتابات العربية والغربية مدافعًا عن العلم والتجربة؟ وإذا كان هيوم كذلك، فهل يعنى القول بالعلم والتجربة أنه يرفض العقلانية؟ وكيف عالج الخشت هذه المعضلة وكيف بدت فى تأويلاته؟

٢.كيف تصور الخشت فلسفة هيوم ؟ وهل هناك رؤية جديدة قدمها الخشت فى كتاباته- تجعلنا نقول- إن هيوم فيلسوف ميتافيزيقى؟

٣.إلى أي حد يمكن القول إن الرؤية الخشتية عن هيوم رؤية جديدة؟ بمعنى هل الرؤية المقدمة فى كتابات الخشت جديدة فى الحقل الميتافيزيقى؟ أم أنها عبارة عن تأويل جديد لنصوص هيوم؟

ومن خلال هذه التساؤلات آثرت استخدام منهجى التحليل والتأويل حيث إنهما المناهج التى تصلح لمعالجة هذا البحث، بالإضافة إلى استخدام المناهج المساعدة مثل المنهج المقارن والنقدى حيث أقوم بتحليل أفكار ديفيد هيوم كما- جاءت فى كتابات الخشت التأويلية - ومقارنتها بمثيلاتها، وكذلك نقد الفكرة حتى تكون أقرب للصواب.

والله من وراء القصد،

أولاً: هيوم بين التجريبية والعقلانية.

يدور مضمون البحث حول تساؤل فلسفي أصيل وهو: إلى أى حد كان هيوم فيلسوفًا تجريبيًّا ؟ وهل أكد الخشت تجريبية هيوم فى كتاباته أم لا ؟

يمكن القول إن التجريبيين الإنجليز يختلفون بشكل رئيس مع مفكرى المذاهب العقلانية فى القارة الأوربية، حيث نضع دائمًا التجريبية والعقلانية -كمذاهب فلسفة أصيلة- فى كلمة واحدة فى الفلسفة الحديثة أكثر من النظر إليهما فى تاريخ فلسفى مستقل لكل مذهب منهما، فالتجريبية الإنجليزية جاءت - كرد فعل أو كبديل - للمذاهب الديكارتية فى الفكر الفلسفى الحديث،

حيث قامت بطرح حلول بديلة لإشكاليات العلم الكلى universal science مستخدمة مصطلحات المذهب العقلى نفسه[١].

من هنا دأبت الدراسات الفلسفية الشائعة على اعتبار أن ديفيد هيوم أحد أعمدة الفلسفة التجريبية الأصيلة فى الفلسفة الحديثة، فهو فيلسوفٌ تجريبيٌ صارمٌ، أو كما جاء فى معجم الفلسفة "إن الفيلسوف الإسكتلندى ديفيد هيوم يعد أعظم التجريبيين الإنجليز فى عصره[٢] The Greatest of British Empiricists، وفى ذلك الوقت الذى دأبت فيه هذه الدراسات على هذه الوجهة من النظر، قال البعض أيضًا إن هيوم وصل باستنتاجاته إلى "أن العقل هو لا شىء سوى حزمة من التصورات" The Mind as a bundle of perceptions أو مجموعة من التصورات المختلفة التى ينتج بعضها البعض بسرعة لا يمكن تصورها، وهى فى تدفق دائم"[٣].

وهذا ما يسميه البعض بـ"فضيحة هيوم" Hume`s Scandal على حد تعبير محمد مدين، وقد يشير بعضهم – إلى ذلك أحيانًا – بأنها "مقصلة هيوم" Hume`s Guillotine مستندين فى ذلك لعبارة هيوم الشائعة، والتى يقول فيها "إن العقل وحده لا يمكنه، بحال، أن يؤثر فى الأفعال، وأنه عبد للعواطف"[٤].

وقد استند أصحاب هذه الوجهة من النظر إلى قول هيوم: "إنه لا يمكن الائتمان إلى استنتاجات العقل حيث يمكن المغالطة فيها، فالعقل بطىء فى عملياته، ضامر تمام الضمور خلال مرحلة الطفولة الأولى، وهو فى أحسن الأحوال معرِض للخطأ وسوء التقدير فى أي مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية"[٥].

وهذا القول يعد إثباتًا حقيقيًّا فى هذه الدراسات على تجريبية هيوم، واعتماده بشكل كلى على التجربة، كما يؤكد أيضًا – أن هيوم رفض العقل – كأساس للمعرفة الفلسفية، فالعقل على حد تعبيرهم عند هيوم ما هو إلا مجموعة من التصورات الفارغة.

هذه الفكرة السابقة والتى مفادها _أن هيوم فيلسوف تجريبى– كانت البنية الرئيسة التى بدأ منها الخشت مشروعه التأويلى، ليثبت للفكر الفلسفى بأكمله أن القول بالتجريبية لا ينفى العقل أو العقلانية، أو بالأحرى تنصب تأويلات الخشت فى فكرة واحدة ألا وهى أن القول بالتجريبية لا يرفض القول بالميتافيزيقا، بل يدعمها ليجعلها تنتقل من التقليد إلى العلمية، فالخشت هنا – يعتنق كانطًا فى فكره – وبالتالى لا يمكن لمنهج الخشت التأويلي أن يمضى قدمًا دون المنهج البنيوى، فالخشت فى جل كتاباته يعتمد على التأويل والبناء، فهو

صاحب مشروع فلسفى فى صياغة المنهج.

يبدأ الخشت تأويله لفلسفة هيوم من مقدمات فلسفية دأبت عليها الدراسات المركزية الشائعة، وعليها بُنيت التأويلات الميتافيزيقية (تأويل وبناء) فيقول:

١- هيوم تجريبى.

٢- هيوم هدم الميتافيزيقا ورفضها كلية..

٣- العلاقة بين هيوم وكانط علاقة تضاد وتصادم بين فيلسوف تجريبى وفيلسوف عقلانى[٦].

هذه المقدمات الثلاثة التى عرضها الخشت فى كتابه العقل .. وما بعد الطبيعة، هى عبارة عن أساس فلسفى بُنيت عليه الدراسات المركزية الشائعة، وهى الدراسات التى تقف عند حد العرض والتقديم فقط، فلو أمعنا النظر فى المقدمة الأولى نجد أن المقدمة الثانية ما هى إلا نتيجة عن الأولى، والمقدمة الثالثة عبارة عن استنتاج تحليلى للمقدمتين الأولى والثانية. وعليها يشرع الخشت فى البدء بالتأويل قائلًا: "ماذا يكون الأمر لو استطعنا تصديع تلك المقدمات أو بعضها؟ هل سننتهى إلى نفس النتائج التى انتهت إليها الدراسات المركزية الشائعة ؟"، يجيب الخشت على تساؤله السابق بقوله "بديهيًّا ..لا "[٧].

يبدأ الخشت فى تحليل نصوص الدراسات الشائعة حول هيوم، وهى الدراسات المؤكدة لتجريبيته والرافضة لميتافيزيقيته، لاعتقادهم أن التجربة والميتافيزيقا لا يجتمعان معًا، ثم يستخدم الخشت التأويل من جديد لبناء فلسفة هيوم الجديدة أو التى أطلق عليها – الهيومكنطية- فيقول "فمن خلال القراءة وجدنا كثيرًا من القرائن، بل ومن الشواهد، ما يجعلنا نجد مبررًا لإعادة النظر فى تلك المقدمات، ذلك أن تلك النصوص والدراسات تشير – وبشدة – إلى زيف التجريبية الإنجليزية وإلى كونها تجريبية هشة، وبالتالى ترفض وصف هيوم بالتجريبى الصارم، وتعده عقلانيًّا ديكارتيًّا قام برسم صورة واقعية للإنسان والطبيعة والمجتمع ابتداءً من عناصر ذاتية خالصة، هى الأفكار، بل إنه حاول اتخاذ الميتافيزيقا علمًا عن طريق استرشاده بالمنهج الذى وفق إليه نيوتن فى مجال الميكانيكا السماوية وتطبيقه على دراسة الذهن البشرى، وبالتالى السعى إلى الانتقال من أحكامنا الجزئية التى نطلقها على الأشياء إلى مبادئها الأعم[٨].

يشير الخشت فى نصه السابق إلى وجود قرائن وشواهد تؤكد على زيف التجريبية وبالتالى رفض الفكرة القائلة بأن هيوم رفض الميتافيزيقا، مسترشدًا فى ذلك بإسحاق نيوتن

الذى ألهم ديفيد هيوم أفكاره، وهذا ما أكده – أيضًا – "هوغ ميللر" Hugh Miller بقوله "وتحت تأثير الفيزياء النيوتونية قام هيوم بتشبيه حركة الأفكار الذهنية بحركة الأجرام السماوية، وبالتالى أصبح هيوم على قناعة فلسفية بأن التعميم التجريبى الذى أكدته الملاحظة يُشكل معرفة مطلقة وفورية من نوعها"[٩]. ولم يتوقف هيوم فى استرشاده بنيوتن إلى هذا الحد – كما يشير ميللر – بل طبق هيوم عناصر النظام النيوتونى الجديد على مبادىء العاطفة والأخلاق، حيث رأى هيوم أن مفهوم النفس الميتافيزيقى يمكن ملاحظته من خلال أفعال السلوك[١٠].

إن اعتماد هيوم على فيزياء نيوتن يمكن رؤيته بمنظورين مختلفين، وبعيدين كل البعد عن بعضهما البعض، الرؤية الأولى التى قدمتها الدراسات الشائعة – على حد تعبير الخشت – فى كتاباته، وهى أن هيوم فيلسوف تجريبى حقًّا، الرؤية الثانية وهى الرؤية التأويلية التى استنتجها الخشت من القرائن والشواهد على اعتبار أن القول بالتجربة لا ينفى القول بالعقل، بل يمكن الإنطلاق من التجربة كمقدمة أولى فى البناء لنصل من خلالها إلى تأسيس ميتافيزيقى عقلانى، أو ميتافيزيقا علمية، وهو ما أكده كينى .A Kenny بقوله "بعد فترة وجيزة من وفاة بيركلى Berkeley فى دُبلن Dublin مُنح العالم تجريبية هيوم الميتافيزيقية، حيث أخذ هيوم المبادىء التجريبية ليطبقها على الميتافيزيقا المتطرفة"[١١].

وهنا وقف الفيلسوف التأويلى محمد عثمان الخشت معارضًا شتى الأقوال التى نادت بتجريبية هيوم، وهذه الأقوال لأقطاب رائدة فى الفكر الفلسفى، حيث عارض الخشت – يوسف كرم– فى قوله "لقد سلم ديفيد هيوم بالمبدأ الحسي، وذهب إلى نتيجته المنطقية، فبلغ إلى الظاهرية المطلقة التى ترد المعرفة إلى ظواهر لا يربط بينها سوى علاقات تجريبية"[١٢]. كما اختلف الخشت مع أستاذه د.حسن حنفى فى الرأى الذى ذهب إليه د. حنفى عن هيوم ومفاده:"أن هيوم يؤسس العلوم بمنهج تجريبي فى مقابل المنهج الهندسي عند اسبينوزا، ويطبقه فى شتى العلوم الإنسانية كالفلسفة، والأخلاق، وعلم النفس، والدين، والتاريخ"[١٣]. وهذه الآراء أكدها أيضًا – الفيلسوف التحليلى برتراند رسل – حين قال أن هيوم أحد أهم الفلاسفة؛ لأنه وصل بفلسفة لوك، وباركلى، التجريبية إلى نتيجتها المنطقية[١٤].

من خلال ما سبق طرحه، نستطيع أن

نستنتج فكرة تأويلية مركزية يحتكم فيها البحث الهيومي، وهى الموقف الذى تبناه الخشت هنا، ومفاده أن القول بالتجريبية – خاصة لدى هيوم – لا ينفى القول بالعقلانية، والدليل على ذلك قول هيوم: "الإنسان كائن عاقل، وهو بوصفه كذلك يتلقى من العلم غذاءه وزاده، إلا أن قيود الفهم البشري هى أضيق من أن يمكن لها أن تأمل سوى القليل من الرضا حول هذه المسألة، والإنسان كائن اجتماعي أيضًا لا يقل عن كونه إنسانًا عاقلاً، فكن فيلسوفًا كيفما شئت، ولكن.. تذكر خلال فلسفتك أنك ما زلت إنسانًا"(١٥).

ولم يقف هيوم عند هذا الحد، حيث وجد الباحث نصوصًا لهيوم تُضعف من اعتماده على التجربة وتجعلها إثارة للشك والريبة فى فلسفته، حيث ذكر هيوم: "أنه رغم استنتاجاتنا المأخوذة من التجربة تجعلنا نذهب إلى أبعد من ذاكرتنا وحواسنا، وتجعلنا واثقين من الوقائع التى حدثت فى أقدم الأزمنة، فإنه لا بد أن يكون ثمة عيان ما دائم الحضور أمام الحواس أو فى الذاكرة، منه ننطلق إلى استخراج تلك النتائج"(١٦). كما يقول أيضًا: "على الرغم من كون التجربة هى مرشدنا ودليلنا الوحيد فى استدلالاتنا حول الوقائع، فإنه مع ذلك يجب الإقرار بأن هذا المرشد ليس معصومًا من الخطأ، فإن التجربة فى كثير من الأحيان تكون سببًا قويًّا لوقوعنا فى الأخطاء"(١٧).

هذه النصوص (الهيومية) السابقة هى التى اعتمد عليها الخشت فى تأويله، والدليل هنا أيضًا- ما ذكره الخشت – وأيده ميللر، وهو تأثر ديفيد هيوم بنيوتن فى التشبيهات السابقة، فكيف يتسنى تفسير ما هو ميتافيزيقى "النفس" أو غير المحسوس "العبارات الأخلاقية" بما هو تجريبى إلا من خلال العقل، إذن هيوم هنا يقف بين التجريبية والعقلانية، وإن كان اعتماده على العقلانية ضئيل جدًّا، فهيوم حاول الاعتماد على العقل والربط بينه وبين التجربة – فعلى حد تعبير الخشت – ظن هيوم أن سبب تقدم العلم يكمن فى استخدامه للمنهج التجريبى، ولم يتمكن من اكتشاف عقلانية هذا المنهج، حيث صدق نيوتن فى وصفه لمنهجه بأنه تجريبى(١٨).

أى أن هيوم حاول جاهدًا إخضاع منهجه التجريبى لمبدأ العقل حتى يحاول فهم الفروض التجريبية المستخدمة فى العلم من خلال العقل، ولكنه على حد تعبير الخشت فشل فى اكتشاف عقلانية العلم(١٩). وهنا أختلف(*) مع – أستاذنا الخشت – فى فكرته لهيوم السابقة، وهى قوله بفشل هيوم فى اكتشاف عقلانية العلم، والدليل على ذلك أن

الفيلسوف إذا حاول جاهدًا وفشل فى محاولته فإن هذه المحاولة تعد نجاحًا فى مذهبه، لكون مذهبه مبنيًّا على التجريبية غير مكترثٍ بالعقل، ولكنه أراد إخضاع العلم برمته إلى العقل، فإن هذه المحاولة لا تعد فشلًا كما يقول أستاذنا د. الخشت بل تعد فكرة ناقصة البناء.

إن محاولة الخشت التأويلية لإثبات العقلانية فى رحم فلسفة هيوم التجريبية تعد محاولة أصيلة وفريدة من نوعها، فالخشت لم يقف عند حد العرض والتقديم – القول بالتجريبية – بل بحث فى عمق النص الهيومي ليثبت أن هيوم حاول الجمع بين التجريبية والعقلانية، وهيوم هنا يشبه فرنسيس بيكون الذى حاول الجمع بين العقلانية المجردة والتجريبية الخالصة، فكان كثيرًا ما يردد "لا تفصلوا بين النظر والعلم، بل وحدوا بينهما"[٢٠]، فالمفكر التجريبى يشبه النملة التى تجمع قوتها وتختزنه، والمفكر العقلانى القطعى يشبه العنكبوت الذى ينسج خيوطه من المادة التى يستخرجها من جوفه، أما النحلة فهى تستخرج مادتها الأولى من رحيق الزهور فى الحقول، وتحول بفنها الجميل هذا الرحيق إلى عسل حلو المذاق، وهى بذلك تكون فى موقف وسط بين النملة والعنكبوت، فالفيلسوف الحقيقى – على حد تعبير د. نازلى إسماعيل حسين – يصنع مثل هذا العمل، ويعمل بالصورة نفسها التى تعمل بها النحلة[٢١]، فثروة الفكر الحقيقى هى الجمع بين الملكتين: التجريبية والعقلانية فى نسق واحد[٢٢].

وهنا لا بد أن نتساءل: لماذا جمع الخشت بين هيوم وكانط فى مصطلح واحد وهو الهيومكنطية ؟

إن الإجابة على هذا التساؤل الفلسفى هى بمثابة النتيجة الرئيسة لهذا البحث، حيث انصبّت تأويلات الخشت هنا فى بيان عقلانية هيوم، والقول بالعقلانية هنا هو التأويل الجديد الذى أضفاه الخشت على فلسفة هيوم، فهيوم يشبه كانط فى الجمع بين العقلانية والتجريبية، لذلك عبر الخشت عنهما بمصطلح – الهيومكنطية – وهو مصلح جديد من ابتكارات الخشت التأويلية، فإذا ما استطاع الخشت إثبات العقلانية – شيئًا ما – فى فلسفة هيوم، سيتسنى له بعد ذلك إثبات الميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، وبالتالى رفض الأفكار القائلة بأن هيوم رفض الميتافيزيقا لكونه فيلسوفًا تجريبيًّا صارمًا.

وعلى ذلك يمكن القول إن العلاقة بين هيوم وكانط لم تكن علاقة انفصال، بل كانت علاقة اتصال وتلازم فى الفكر، فمن خلال – تأويلات الخشت – يمكن القول

إن الفيلسوفين أجمعا على أن التجريبية لا يمكن أن تسير قدمًا دون العقل، والعكس صحيح، فالتصورات بغير العيانات تكون جوفاء، والعيانات بغير التصورات تكون عمياء، ولذلك أجاب كانط على سؤال هيوم الفلسفى بقوله: "أتفق مع هيوم فى قوله بأن العلاقة السببية لا يمكن الاستدلال عليها من التجربة، فطبقًا لرؤية هيوم تكون التصورات السببية عبارة عن افتراضات من التجربة، لكون التجربة لها القوة الكاملة the full force فى المعرفة العلمية، وقد قبل كانط هذا الاستنتاج الهيومي دون تحفظ، ولكن اقتراح كانط كان مفاده أن السببية يجب أن تكون افتراضًا سابقًا على التجربة[٢٣]، من هنا نؤكد ما وصلت إليه تأويلات الخشت فى استخدامه لمصطلح الهيومكنطية، فالتجربة موجودة ولكن لا بد لها من تأكيد عقلى عند الفيلسوفين. وعليها يمكن القول – حقًّا – إن كانط يشبه هيوم فى تجريبيته، ولكن تجريبية كانط مشروطة، حيث تعمل على فحص معطيات الخبرة الحسية[٢٤].

إن ما وصل إليه التأويل فى فلسفة هيوم يمكن إيجازه فيما كتبه الخشت قائلًا: "لقد آن الأوان للقضاء على اعتقاد شائع فى مجال الدراسات الفلسفية، فحواه أن هيوم فيلسوف تجريبى صارم، سار بالتجريبية حتى نهاياتها المنطقية، حتى أصبح من المستحيل المضى أبعد مما وصل إليه، حتى اعتبره الوضعيون المناطقة رائدًا لهم وواضعًا لأصولهم الفلسفية، ويستطرد – الخشت في تأويله العقلانى لفلسفة هيوم قائلًا – هذا الاعتقاد الشائع قام نتيجة فهم خاطئ لفلسفة هيوم، وكان السبب فى تكونه أن أصحابه لم ينظروا إلى فلسفة هيوم نظرة مجردة، وإنما وضعوها فى سياق التجريبية الإنجليزية، ونظروا إليه عبر هذا المنظور، ومن ثم أظهرت هذه العدسة التجريبية هيوم لكل راءٍ كفيلسوف تجريبى"[٢٥].

وخلاصة القول التأويلى فى فلسفة هيوم، يقول الخشت رؤيته فى هذا الصدد "وعلى العكس تمامًا من هذا التصور الشائع (القائل بأن هيوم تجريبى صارم)، فإن القراءة المتأنية لنصوص هيوم وتتبع جذورها فى الفلسفة الأوربية لا سيما عند ديكارت، تثبت أنه فيلسوف عقلانى ديكارتى، قام برسم صورة موضوعية للإنسان، والطبيعة، والمجتمع، من عناصر ذاتية خالصة، هى الأفكار، وعليها لم يكن هيوم فيلسوفًا تجريبيًّا صارمًا، نعم ربما يكون قد اعترف بأهمية التجربة فى المعرفة، لكنه أنكر أن تكون هذه التجربة قادرةً على تقديم معرفة تتسم بسمتى الضرورة

والكلية"[٢٦].

ثانيًا: موقف هيوم من الدين.

قبيل الشروح فى تحديد المنهجية التأويلية التى بنى الخشت عليها موقف هيوم الفلسفى من الدين، لا بد من تحديد الفروق الفلسفية بين مصطلحات متباينة فى المعنى، استخدمها الخشت – كثيرًا – فى كتاباته الفلسفية، وهى الدين، فلسفة الدين، فلسفة اللاهوت، حتى نصل إلى الهدف الذى من أجله كان البحث، وهو موقف هيوم من الدين.

من خلال تحليل التعريف اللغوى للدين الذى عرّفه الرازى، يقول الخشت "الدين فى اللغة هو العادة، وربما اعُتبر الدين عادة؛ لأن الناس لا تعيش غالبًا بدون دين سواءً كان سماويًّا أو وضعيًّا؛ فالدين عادة إنسانية"[٢٧]. بينما يكمن التعريف الاصطلاحى كما يقول الخشت "الدين وضع إلهى يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول"[٢٨]. فى حين جاء الدين فى المعجم الفلسفى – على حد تعبير الخشت – "الدين نسق فردى لمشاعر واعتقادات وأفعال مألوفة، موضوعها الله. فالدين هو تحديد المطالبة بوجهة نظر الشعور والإيمان، إلى جانب وجهة نظر العلم"[٢٩]. والدين أيضًا هو علاقة الوعى الذاتى بالله أو بالروح المطلق الذى يحقق ذاته فى ذلك الوعى الذى من أجله بالذات يكون وجوده[٣٠].

وتكمن الخلاصة من خلال تعريفات الخشت السابقة للدين فى كون الدين – كما يقول الخشت فى كتابه نحو تأسيس عصر دينى جديد – مثل الماء، الماء سبب للحياة المادية، والدين سبب للحياة الروحية، فدرجة الحرارة المنخفضة تحول الماء إلى مادة صلبة، والتقليد يحول الفكر الدينى إلى قصر من الخرسانة المتجمدة لكنه يقف على أقدام فخارية، الماء لا يمكن أن يُشرب ويرتوى منه الجسد دون أن يتحول إلى سائل مرن، والدين لا يحيى روح الإنسان ويُصلح الواقع المتجدد دون أن يكون الفهم الإنسانى له متجددًا دومًا[٣١].

أما فلسفة الدين Philosophy of Religion فهى ليست جزءًا من التعاليم الدينية، ولا ينبغى أن تعالج من وجهة نظر دينية، والدليل على ذلك أن الملحد والمتشكك واللاأدرى والمؤمن جميعهم يستطيعون التفلسف حول الدين[٣٢]، الأمر الذى لا يجعل فلسفة الدين فرعًا من فروع الدين أو اللاهوت بالمعنى العقائدى، بل هى فرع من فروع الفلسفة تدرس المفاهيم والمعتقدات الدينية[٣٣]. فإذا كان الدين يهتم بالإيمان بالله، وأيضًا الصلوات والشعائر الكنسية، فإن فلسفة الدين تهتم بالقراءة النقدية للنصوص

الدينية عن طريق الدلائل والبراهين العقلية – أى من خلال منظور عقلى– فهى تحاول إزالة التناقضات فى المعتقدات الدينية، والكشف عن مشكلاتها(٣٤).

وقد عوَّل الخشت على التعريفات السابقة لفلسفة الدين بقوله "هى التفسير العقلانى لتكوين وبنية الدين عبر الفحص الحر للأديان، والكشف عن طبيعة الدين من حيث هو دين، أى عن الدين بشكل عام من حيث هو منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة، ومن حيث هو نمط للتفكير فى قضايا الوجود، وامتحان العقائد والتصورات الدينية للألوهية والكون والإنسان، وتحديد طبيعة العلاقة بين كل مستوى من مستويات الوجود، والبحث فى الطبيعة الكلية للقيم والنظم والممارسات الدينية، ونمط تطور الفكر الدينى فى التاريخ، وتحديد العلاقة بين التفكير الدينى وأنماط التفكير الأخرى، بغرض الوصول لتفسير كلى للدين، يكشف عن منابعه فى العقل والنفس والطبيعة، وأسسه التى يقوم عليها، وطبيعة تصوره للعلاقة بين المتناهى واللامتناهى، والمنطق الذى يحكم نشأته وتطوره واضمحلاله"(٣٥).

يتبين مما سبق أن الخشت أقرب إلى جون هوسبرس (الفيلسوف الأخلاقى) فى تحديده لماهية فلسفة الدين، كما يتفق – الخشت أيضًا – مع جون هيك (الفيلسوف الدينى) فى التفرقة التى وضعها هيك بين الدين وفلسفة الدين، مع العلم أن الخشت زاد على هؤلاء تحديد بنية المنهج الفلسفى الذى يناسب البحث فى فلسفة الدين بقوله "تنتهج فلسفة الدين المنهج العقلانى النقدى فى دراسة الدين، أو هكذا ينبغى أن تكون"(٣٦). وعليها تكون فلسفة الدين ليست هى الدين ذاته، وإنما هى البحث العقلى والنقدى لما جاء به الدين من حقائق، وما عرضته الكتب السماوية من مشكلات دينية تستحق البحث والتنقيب.

كما تختلف فلسفة الدين فى التعريفات السابقة عن مفهوم الدين، فإنها تختلف أيضًا عن فلسفة اللاهوت Philosophy of Theology من حيث كون الأولى أعم وأشمل، حيث تهتم بالتحليل والفحص العقلانى الدقيق للمعتقدات الدينية، معوّلة فى ذلك على المنهج النقدى والعقلانى فى مباحثها ومشكلاتها، ومن ثم نظر المشتغلون بفلسفة الدين إلى المعتقدات الدينية باعتبارها ظاهرة قابلة للحذف أو التعديل، أما فلسفة اللاهوت فقد عولت على المنهج التحليلى والجدلى للكشف عن جوهر الدين من جهة، وتبرير عقائده عقليًا من خلال الكتب

السماوية من جهة أخرى، ففيلسوف الدين يتخذ من الدين أداة لخدمة العقل، بينما يعوّل فيلسوف اللاهوت على العقل كأداة لخدمة الدين، وذلك عن طريق الدفاع العقلى عن الدين(٣٧).

وهنا يتساءل الباحث: ما التأويل الذى اتخذه الخشت سبيلًا لفهم موقف هيوم الدينى ؟ وهل يعد هيوم من خلال تأويلات الخشت مؤمنًا أم ملحدًا أم لا أدريًّا ؟ وهل تعد رؤية الخشت لموقف هيوم الديني تحليليًّا أم تأويليًّا ؟

فى الفصل الأول من محاوراته فى الدين الطبيعي، عرض هيوم على لسان "بامفيلوس" قضيةً فلسفيةً مهمةً جدًّا، وهذه القضية لا بد من النظر إليها نظرة جوانية، حيث يقول: "فأية حقيقة غاية فى الوضوح واليقين مثل وجود إله! وهى التى عرفته أجهل العصور وجهدت أعظم العبقريات طامحة إلى إيجاد أدلة وحجج عليها؟ أي حقيقة أهم من هذه وهى أساس آمالنا جميعًا، وأوثق دعامة للأخلاق، وأرسخ عضد للمجتمع، والمبدأ الوحيد الذى لا يغيب عن أفكارنا وتأملاتنا لحظة؟ ولكن أي مسائل غامضة تتعلق بطبيعة ذلك الموجود الإلهي، بصفاته ونواميسه وخطته فى العناية، أيّ مسائل غامضة تواجهنا حين نتناول هذه الحقيقة الواضحة المهمة؟ ولقد تعرّضت هذه المسائل دائمًا لاختلافات الناس، ولم يصل العقل البشرى إلى يقين عنها، ولكنها موضوعات شائقة لا نستطيع أن نَكبح أنفسنا إزاء البحث الدائب فيها، ولو أننا لا نخلص من أدق أبحاثنا بغير الشك والتناقض وعدم اليقين"(٣٨). علمًا بأن هيوم قبل أن يطرح هذه المشكلة قال لصديقه "هرمبوس": "وحتى العقل البشري لا يستطع أن يصل فيها إلى قرار محدد، بل قد يقع العقلاء من الناس فى الاختلاف فى المواطن التى لا يستطيعون الوصول فيها إلى إجابة قاطعة"(٣٩).

من هنا وقف الفيلسوف التأويلى محمد عثمان الخشت على فلسفة ديفيد هيوم الدينية باعتبارها فلسفة مهمة للغاية، حيث إنها تصب فى تأكيد حضور الوعي الديني منذ القدم، فالاهتمام بالدين قديم قدم الإنسان، ومن هذه الزاوية الحفرية يتابع الخشت كل الخطوات التى سايرها هيوم فى دراسته للدين، والجدير بالذكر هنا، هو أن الخشت يلقى الضوء على الأحوال الشخصية التى ميزت طفولة هيوم الدينية، كونه نشأ تنشئة دينية صرفة، ونحن نعتبر هذه المحاولة ثمينة علميًّا فى المقاربة بين المراحل التكوينية الشخصية(٤٠). حيث يقول الخشت – فى تأويله – للفلسفة

الهيومية "تدل فلسفة هيوم الدينية دلالة قوية على هذا الحكم، حيث إن اهتمامه بالدين لم يفتر فى أى وقت من الأوقات، ففى طفولته تشرب لاهوت كالفن على يد أسرته المتدينة، وكان يحافظ على الصلوات فى الكنيسة كل أحد، فضلًا عن تعبده فى داره، لكنه ما إن شبَّ عن الطوق وبدأ فى قراءات جون لوك John Lock، وكلارك Clark حتى فقد إيمانه الدينى[٤١].

يريد الخشت أن يؤكد فى نصه السابق، أن هيوم الفيلسوف الإسكتلندى نشأ فى بيته نشأة دينية صرفة، فكونه يحافظ على الصلوات والتعبد – حتى فى داره– هذا إن دل على شىء، فإنما يدل على أن فلسفة هيوم الدينية من منظور الخشت هى فلسفة إيمانية فى المقام الأول، فالكثير من الفلاسفة المحدثين والمعاصرين أيضًا قد بدأوا حياتهم الفكرية متشبعين بالإفكار الدينية ومؤمنين بها، مثل الفيلسوف الوجودى "نيتشه" الذى لُقب فى صباه "بالقسيس الصغير"[٤٢]، كما كان يطمع فى صغره إلى أن يصير قسيسًا فى المستقبل[٤٣]، فى حين أنهى حياته فى المستقبل بقوله لأخته "عدينى إذا مت أن لا يقف حول جثمانى إلا الأصدقاء، وأن لا يدخل الفضوليون من الناس. ولا تدعي قسيسًا ينطق بالأباطيل والأكاذيب على قبرى فى وقت لا استطيع الدفاع عن نفسى، أريد أن أدفن فى قبري وثنيًا شريفًا"[٤٤].

وكذلك "برتراند رسل" أيضًا– الفيلسوف الإنجليزى– الذى نشأ على العقيدة المسيحية فى صباه، وذلك قبيل إلتحاقه بجامعة كيمبردج[٤٥]، وقد أكد رسل ذلك القول بصريح العبارة فى سيرته الذاتية حيث يقول "فلما بلغت الثامنة عشرة من عمرى، وقبل التحاقي بجامعة كمبردج وقعت عيني على كتاب لـ"جون ستيوارت مل" هو(سيرته الذاتية) قرأته فلفتت نظرى جملة فيه مؤداها أن والده علمه أن هذا السؤال: من خلقك؟ لا يمكن العثور له على جواب شاف، وذلك لأنه يوحى مباشرة بسؤال آخر: ومن الذى خلق الله؟ وصرفنى هذا عن حكاية "العلة الأولى"، وأصبحت بعدها ملحدًا، ولكنى فى أثناء تلك الفترة الطويلة من الشكوك الدينية كان ينتابنى الشعور بالشقاء والتعاسة، لأنى كنت أتخلى تدريجيًّا عن عقيدتى، غير أن هذه العملية ما كادت تتم وتصل إلى قرار حتى وجدت لفرط دهشتى أننى مسرور جدًّا لأننى تخلصت من الموضوع برمته".[٤٦]

إن المقاربة المبدئية بين كل من هيوم ونيتشه ورسل لها دلالات أكيدة فى الفكر

الدينى لدى هوؤلاء الفلاسفة، فالدلالة الحقيقة هى التى أكدها الخشت فى بداية كتابه عن هيوم، بأنه بدأ حياته متدينًا متعبدًا محافظًا على الصلوات، فما أن قرأ لوك وكلارك حتى فقد إيمانه، فالتأثر هنا هو الذى يغير من فكر الفيلسوف، كما إن التعليم والترحال له باعث أساسي فى تشكيل فكر الفيلسوف الديني. فعلى حد تعبير الخشت إذا كان هيوم فقد إيمانه الديني فإنه لم يفقد أبدًا اهتمامه به، ومؤلفاته المتعددة تشهد على ذلك(٤٧).

ويؤكد الخشت أن اهتمام هيوم بالدين لم يكن أسيرًا للرؤى والمناهج التقليدية، إذ إنه سعى لتطوير نظرية وضعية فى الدين، حدد فيها ما هو أساسى وطبيعى فى الاعتقاد الدينى، من خلال تتبع تاريخ الدين الطبيعى، حيث أسس هيوم نظرية فى الدين قائمة على ملاحظة الطبيعة الإنسانية ذاتها من حيث أهوائها، وحاجاتها، ودوافعها، وميولها، فضلًا عن ملاحظة الفاعليات الاجتماعية(٤٨).

إن الذى أثار انتباه الفيلسوف التأويلى محمد عثمان الخشت حول فلسفة الدين الهيومية، هو أن هيوم قدم قراءات مجددة تختلف كل الاختلاف عن الدراسات الكلاسيكية للدين، خاصة وأنه سعى إلى وضع دراسة علمية وضعية للدين، حدد فيها ما هو أساسي وطبيعي فى الاعتقاد الديني، من خلال تتبع التاريخ الطبيعي للدين Natural History of Religion ، الذى يعكس رفضه للتاريخ التقديسي للدين. وبلغة أخرى اهتم هيوم – بالدين – الذى أنتج داخل التاريخ، دون الدين الذى يشكل ما فوق التاريخ الذى اهتمت به الكتب السماوية الكبرى بشرحه وتقديمه، وهذه الطريقة اعتبرها الخشت محاولة جبارة قام بها هيوم فى قراءته للدين، بما أنه أسس رؤيته للدين على ملاحظة الطبيعة البشرية ذاتها من حيث أهواؤها وحاجاتها ودوافعها(٤٩).

وهنا لا بد أن أسأل فيلسوفنا التأويلي قائلًا: إذا كان هيوم قام بدراسة مسحية لنشأة الاعتقاد الدينى فى التاريخ، فما هو أصل الدين عند هيوم؟

يرى الخشت أنه شاع فى عصر هيوم تفسيران لنشأة الاعتقاد الديني: أولهما يقول بأن الدين الأول للإنسان كان هو التوحيد الإلهي الذى عرفه الإنسان عن طريق الوحي وليس عن طريق التأمل النظري، ثم حاد الإنسان عن التوحيد وسقط نتيجة الخطيئة فى الشرك والوثنية، وثانيهما: يقول بأن تعدد الألهة أو الشرك كان هو أول مظهر للدين، وقد عرفه الإنسان نتيجة التأمل فى انتظام

الكون، والبحث عن علل ظواهر الطبيعة، وكان القائل بهذا التفسير هو "فونتنيل"، وقد وافق هيوم رأى "فونتنيل" فى أن الشرك كان المظهر الأول للدين، ولكنه على حد تعبير الخشت – اختلف معه– فى تحديد الأسباب التى أدت بالإنسان إلى الشرك، إذ يستبعد هيوم أن يكون التأمل النظرى فى انتظام علل الطبيعة من بين الاهتمامات التى شغلت تفكير الإنسان البدائى بهمجيته وبربريته. فكما قال هيوم على لسان الخشت" لقد كان الشرك هو الدين الأول للإنسان"(٥٠).

يحاول الفيلسوف التأويلي محمد عثمان الخشت أن يُبحر فى عمق النص الهيومي، فإذا كان "الشرك هو الدين الأول للإنسانية"(٥١) على حد تعبير ديفيد هيوم Polytheism was the primary Religion of men"، فلو وضعنا فى الاعتبار الكيفية التى تحول من خلالها المجتمع البشري منذ النشأة الأولى فى عصر الجاهلية، وكيف وصل إلى حالة الكمال الأعظم greater perfection التى هو عليها الآن ، فإنني أقول إن الشرك polytheism أو الوثنية idolatry يجب أن يكون الدين الأول فى تاريخ البشرية(٥٢). فلو أننا نظرنا ١٧٠٠ سنة مضت لوجدنا النوع الإنساني كله غارقًا فى الشرك(٥٣).

ويبدأ الخشت فى البرهنة على ما قال به ديفيد هيوم فيقول "إننا إذ نرجع إلى الوراء فى أعماق العصور القديمة، وكلما توغلنا، نجد النوع الإنساني غارقًا فى الشرك، وليس هناك ما يدل على أن الإنسانية فى ذلك التاريخ السحيق، قد عرفت أيَّ دين آخر يتسم بصورة أكثر كمالًا من الشرك. ومعظم المدونات القديمة عن النوع الإنساني لا تزال تقدم لنا هذه المنظومة (أى عقيدة الشرك) بوصفها عقيدة شائعة وراسخة، فالشمال، والجنوب، والشرق، والغرب، يقدمون دليلهم الاجتماعي على الواقعة نفسها"(٥٤). وهذا يعد عند هيوم كما – يقول الخشت – دليلًا من الكمال والقوة بحيث لا يوجد دليل آخر يمكن أن يعارضه(٥٥).

وإذا كان الشرك كما – يقول هيوم – هو الأصل الأول للأديان الإنسانية، فكيف وصل الإنسان الأول إليه ؟

يستخلص الخشت تأويله من النصوص الهيومية بقوله "إن أفكار الدين الأول لم تنشأ من التفكير فى أعمال الطبيعة، وإنما نشأت من القلق إزاء أحداث الحياة، ومن الآمال والمخاوف المستمرة التى تحرك العقل الإنساني" فلم يكن الإنسان البدائى حلى حد تعبير – فيلسوفنا التأويلي – يملك من الوعي

ما يجعله يفكر نظريًّا فى الظواهر الكونية، ولم يكن مشغولاً بالتفسير العقلى لأعمال الطبيعة لمعرفة العلل الحقيقية التى تكمن وراءها، فضلاً عن كونه لم يكن ليرقى بتفكيره إلى درجة افتراض أنها تُرد فى النهاية إلى علة واحدة كبرى(٥٦).

يقول هيوم موضحًا ما سبق "ينشأ الدين البدائى primary Religion للنوع الإنساني من الخوف والقلق من أحداث المستقبل، ومن الأفكار التى يضمرها الإنسان عن القوى اللامرئية، وغير المعروفة"(٥٧) ، فتقلب أحداث الحياة بين صحة ومرض، وبين نجاح وفشل، وبين انتصار وهزيمة، وبين سعادة وتعاسة، وبين حظ مُواتٍ وحظٍّ معاكس، وتعدد أحوال الظواهر الطبيعية بين أحوال مفيدة وأحوال ضارة، والحوادث الكونية المفاجئة مثل الزلازل والبراكين والفيضانات والصواعق والعواصف، كل ذلك وما شابهه جعل الإنسان فى حالة من القلق الدائم والخوف والأمل المستمرين، ونتج عن هذه الحالة أن عزا الإنسان كل ظاهرة طبيعية وكل شأن من شئون الحياة إلى قوى خفية عاقلة، وتعددت هذه القوى بتعدد الظواهر الطبيعية وشئون الحياة، ونسب الإنسان لتلك القوى الخفية أو الآلهة اختصاصات محددة، وقسم مناطق نفوذها، فجونو يتوسل إليها فى الزواج، ولوسينا فى الولادة، ونبتون يستقبل صلوات البحارة، ومارس يستقبل صلوات المحاربين، والمزارع يحرث حقله تحت رعاية كيرس، والتاجر يسلم بسلطة عطارد Mercury. ويفترض أن كل حادثة طبيعية محكومة بقوة عاقلة ما، ولا شيء ناجح أو مناوىء يمكن أن يحدث فى الحياة بدون أن يكون متوقفًا على صلوات خصوصية أو شكر"(٥٨). ولما كان الإنسان يستشعر الخوف من تلك الآلهة، فقد حاول أن يسترضيها مثلما يسترضي إنسان إنسانًا آخر ذا جاه أو منصب(٥٩).

وفى هذه الحالة يقول الخشت: "إن هيوم رفض رأى فونتنيل الذى فحواه أن الإنسان الأول اعتقد فى تعدد الآلهة نتيجة التأمل فى الظواهر الطبيعية، ومحاولة اكتشاف العلل التى تحركها. ويؤكد فى المقابل أن تحليل الطبيعة النفسية والعقلية للإنسان البدائي يكشف عن كونه لم يكن مهتمًّا بمسألة التفسير النظرى لإنتظام الظواهر الطبيعية والكونية، وإنما كان مهتمًّا بمحاولة التغلب على شعوره بالخوف على حاضره ومستقبله، وهذا الخوف هو الذى جعل خياله يجسد قوى الطبيعة تجسيدات شخصية على شكل آلهة، لكنها آلهة لها صفات بشرية مضخمة من حيث درجة

القوة واستمرارية البقاء، ومن ثم يمكن استرضاؤها بوسائل الاسترضاء الإنسانى رغبة فى اجتذاب خيرها واتقاء غضبها"[٦٠].

ما سبق طرحه على لسان – الخشت التأويلي – مفاده أن هيوم حاول فى تفسير أصل الدين إقامة مشروع سيكولوجي أهَّم خصائصه "علم الإنسان" Science of Man[٦١]، حيث سعى هيوم إلى تطوير ما سماه بعلم الإنسان أو علم الطبيعة البشرية، من خلال التركيز على أنشطة الذهن البشري فى علاج هذه المشكلات الفلسفية الغيبية[٦٢]. وهذا ما حاول أن يصل إليه الخشت فى تأويله، حيث جعل محور تفكير هيوم فى مسألة الدين الإنسان، فبدأ الخشت هنا من الإنسان كمحور رئيس فى الكون ليصل منه إلى خالقه أى الإنتقال – من الجزء إلى الكل – معلنًا أن هيوم فى تفكيره الديني لم يكن يرمي إلى عقلانية صرفة بينما الأمور الغيبية هى التى جعلت الإنسان يفسر فى خلق الكون، وعليها ظهر الشرك كأصل أول للدين عند هيوم.

وبالفعل فقد جادل هيوم بأن التفكير العقلاني أو التضرع إلى الله الخالق لا يمكن أن يكون سببًا لوجودنا فى هذا العالم المادي، والفلسفة التى تسعى إلى هذه التفسيرات أو تبرير ذلك الاعتقاد هى فلسفة جوفاء يضيع وقتها بلا ثمن[٦٣]. وقد أقر – الخشت قول هولاند السابق – حيث يرى فيلسوفنا التأويلى محمد عثمان الخشت أن هيوم وجه نقدًا عنيفًا للطقوس والشعائر الدينية، فتراه يقول (أى هيوم): "يعتقد بشكل عام أن الثناء على الإله لا يعدو أن يكون طقوسًا عديمة الشأن أو دروشة أو تصديقًا غيبيًّا شديدًا، ولسنا بحاجة إلى الرجوع إلى العصور الغابرة، أو للذهاب إلى مناطق بعيدة لكى نتعرف على نماذج لهذا الانتكاس"[٦٤].

وهنا يشرح الخشت ما قاله هيوم بطريقة تأويلية لم يسبقه إليها أحد، إذ يقول إن – مضمون موقف هيوم الديني – ينطوى على أن العبادات الدينية ينتج عنها برودة وخمول للقلب، وشيوع عادة النفاق والرياء، وسيادة مبدأ الغدر والزيف، فإذا كانت هذه العبادات تنطوى على ثناء الذات الإلهية، فإنها تنزل من قيمة الألوهية؛ لأن تصور الإله على أنه يشتاق للحمد والثناء يعنى أنه ذو عاطفة بشرية، وهذه العاطفة من أدنى العواطف البشرية وهى عاطفة الرغبة فى ثناء الآخرين واستحسانهم. أضف إلى ذلك أن هذا النوع من العبادة يهبط بالله إلى حالة بشرية متدنية، حيث يستمتع البشر ويسعدون بالتملق والهدايا والاسترحام والتوسلات؛ لذا وجب

إدانة تلك العبادات التى تهبط بالله إلى مستوى البشر، بل تتخيله – أحيانًا – فى وضع شيطان متقلب الأهواء يمارس قوته بلا حكمة وبدون شفقة(٦٥).

وقد نوه الخشت – القارىء – إلى أن ديفيد هيوم يرفض مثل هذه العبادات، بل أراد هيوم إلغاءها تمامًا؛ لأن الشر سيصبح قرينًا لمعظم الخرافات الشعبية. ويفسر الخشت – قول هيوم السابق – بأنه لو صح تصور الإله بمثل هذه العواطف البشرية التى تتوق إلى الهدايا والتملق، فإنه يمكن أن يستجيب الإله لطلبات البشر الشريرة المصحوبة بتقديم بعض النذور له(٦٦). وقد اتَّفَقَ مع هذا القول "كانط" Kant إذ يقول إن مما يدخل فى دائرة الوهم والخرافة الاعتقاد بأن وسيلة خلاص الإنسان وتبرئته لذاته تكمن فى الطقوس والشعائر، والإيمان ببعض المعتقدات وطاعة الكنيسة، والسبب الذي يستند إليه "كانط" فى اعتبار أن مثل هذه الوسائل وهمية وخرافية كونها غير أخلاقية(٦٧).

وهنا يمكن القول إن الخشت فى رؤيته لموقف هيوم الدينى من العبادات، وكذلك مشكلة الشر فى العالم، يتفق تمامًا مع الفيلسوف الدينى "جون هيك" إذ رأى الأخير أن هيوم استخدم مشكلة الشر باعتبارها حجة تدحض الإيمان بالله، فى حين أنه خلط بين ما يجب أن يكون عليه الفردوس باعتبارها بيئة للموجودات المتناهية الكاملة، وما يجب أن يكون عليه العالم باعتباره بيئة للموجودات التى تمر بعملية التحول نحو الكمال(٦٨).

مما سبق نستنتج أن هيوم هاجم التصور اللاهوتى Theological Conception للطبيعة البشرية من شتى جوانبه، فالاعتقاد فى القول بأن الله خلق جميع الموجودات الإنسانية Human Being لأجل بعض الأهداف الأخلاقية (مثل العبادات) – مرفوضًا لدى هيوم – وإن كان هذا القول قد سيطر على معظم فلسفات الأخلاق فى بريطانيا العظمى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهنا – خالف هيوم – قول أستاذه "هتشيسون" Hutcheson الذى رأى أن الأخلاق تبنى على التصور اللاهوتى للطبيعة البشرية(٦٩). كما عارض أيضًا رأى جون هيك القائل بأن الدين فى الأصل هو أخلاق أُشعلت عن طريق المشاعر، فهو عبارة عن استجابة بشرية للإله، أو كما عبر عنه "هربرت سبنسر" الدين هوالاعتراف بأن كل الأشياء هى مظاهر للقوى التى تفوق معرفتنا(٧٠).

وإذا كان هيوم رفض أديان الشرك – كما يقول الخشت – وكذلك رفضه للتصور

اللاهوتى للطبيعة البشرية من خلال رفضه لمشكلة الشر فى العالم، فهذا لا يعنى أن هيوم اعتنق دين التوحيد، فالخشت يقرر أن هيوم رفض دين التوحيد أيًّا كان هذا الدين من زوايا متعددة على المستوى السياسى والاجتماعي والفلسفي، فدين التوحيد قد طالب بإزالة كل العقائد الأخرى، وجاهد من أجل القضاء على التعددية وعلى الخلاف العقائدي، وهذا بدوره أدى إلى نشوء التعصب وشيوع الإضطهاد لدى اتباعه، مع أنه كان يجب بحكم كونه أكثر عقلانية من الشرك، أن يبدى تسامحًا أكبر وعدالة أكثر، ولذلك فدين التوحيد –كما يقرر الخشت – على لسان هيوم سواء كان يهوديًّا أم مسيحيًّا أم إسلاميًّا هو دين خطر من الناحية السياسية[٧١].

وهنا لا بد أن نسأل الخشت بوصفه الفيلسوف التجديدى للفكر الديني، إذا كان هيوم قام برفض كافة أديان الشرك القديمة، وكذلك التصورات اللاهوتية للطبيعة البشرية، وأيضًا رفضه لمشكلة الشر فى العالم، ورفضه لدين التوحيد من جميع جوانبه، فما الدين الذى اعتنقه هيوم فى فلسفته ؟ وهل هذا الدين الهيومي يجعل من هيوم فيلسوفًا مؤمنًا بوجود الله تعالى أم لا ؟

عرض ديفيد هيوم للدين الطبيعي Natural Religion في كتابين من كتبه هما: محاورات في الدين الطبيعي، وثانيهما: التاريخ الطبيعي للدين – وفيهما آثار الشك في إمكانية التدليل على وجود الله أو الحياة الآخرة، متأثرًا فى ذلك بمعاصريه من الفلاسفة الفرنسيين والإنجليز في الدين الطبيعي، وذلك إبان القرن الثامن عشر، حيث إن الدين الموحى به من عند الله ينقلنا إلى مجال يتجاوز حدود التجربة وحدود العقل، وهما قوام العلم[٧٢]. ومع أن الدين الطبيعي هو دين الصفوة من بعض العقول الفلسفية، إلا أن هيوم يرى أن إيمان الدين الطبيعي بإله واحد حكيم عليم ليس معتقدًا توحيديًّا خالصًا، لأنه يوجد مختلطاً بتصورات غير ورعة عن الطبيعة الإلهية[٧٣].

وهذا ما أقره بالفعل هيوم فى محاوراته، حيث يقول: "وفى الحق يا فيلون يبدو يقينًا أن الإنسان وإن يكن فى اهتياج مزاجه عقب تفكير عنيف فى العديد من نقائض العقل ونقائصه، قد ينبذ نبذًا تامًّا كل اعتقاد ورأي، فإنه ليستحيل عليه أن يُصرح به فى سلوكه لبضع ساعات. فالموضوعات الخارجية تضغط عليه، والعواطف تُلح عليه، فيتبدد تأمله الفلسفي الحزين، بل ولن يكون فى مقدور أقصى عنف فى مزاجه الخاص أن يبقى

وقتًا ما على مظهر الشك البائس، ثم لأي سبب يفرض على نفسه مثل هذا العنف؟ هذه نقطة يستحيل عليه استحالة تامة أن يُقنع نفسه فيها اقتناعًا تامًّا يوائم مبادئه الشكية"(٧٤).

وعلى هذا القول الأخير ينوه الخشت إلى أن هيوم لم يقبل الدين الطبيعي أيضًا – كما يظن البعض – أن هيوم اعتنق الدين الطبيعي، حيث إن هيوم قام بنقد أدلة وجود إله مفسر لوجود الكون، كما شكك فى صلاحيته، مما يدل على أن هيوم ضد الدين أيًّا كان نوعه؛ لأنه يرفض الفرضية التى يقوم عليها أي دين، أعني أن هيوم يرفض فرضية وجود الله على الإطلاق(٧٥). والدليل على ذلك قوله "فالمسألة ليست تختص بوجود الله بل بطبيعته، وإنني لأقرر أن هذه الطبيعة كانت دائمًا مستغلقة على الفهم، مجهولة لنا لنقائص فى فهمنا البشرى. إن جوهر ذلك الذهن السامي وصفاته وطريقة وجوده وطبيعة بقائه هذه، وكذلك كل جزئية تختص بهذا الموجود الإلهي غامضة على الناس"(٧٦).

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد – كما يقول الخشت – بل ذهب هيوم إلى أن الموت هو عدم تام؛ لأن الطبيعة تؤكد أن البدن والروح مرتبطان معًا من البداية حتى النهاية، من المولد فالطفولة، إلى الصبى والشباب حتى الكهولة والشيخوخة، وكل منهما يتوافق مع الآخر ويلازمه تلازمًا طرديًّا، بشكل يصعب معه الفصل بينهما، مما يؤكد أن النفس أو الروح تفنى بفناء الجسد، ومن ثم فلا معنى لوجود ثواب وعقاب أبديين. وعلى هذا فالدين عند هيوم أمر غير ممكن عقليًّا على مستوى أهم عقيدتين من عقائده؛ وهما: وجود إله شخصي ذى عناية بالكون، وخلود الروح(٧٧).

إن الذى جعل هيوم يصل إلى مثل هذا التجديف وإنكار اليوم الآخر، هو إيمانه المطلق باقتران العلة بالمعلول، فتراه يقول: "إنه هناك ثمة ارتباط وثيق بين الواقعة الراهنة والواقعة المستنتجة منها، ولو لم يكن ثمة ما يربط بينهما لكان الاستنتاج فارغًا، فإذا سمعنا فى الظلمة تركيبًا صوتيًّا، وكلامًا معقولاً يؤكد لنا وجود شخص ما فى هذه الظلمة ..لماذا ؟ لأن هذه التراكيب الصوتية وهذا الكلام المعقول هى آثار لوجود الإنسان، ومرتبطة به ارتباطًا شديدًا. ولو قمنا بشرح جميع الاستدلالات بين الوقائع لوجدناها قائمة على العلاقة بين العلة والمعلول (السبب والمسبب)، وأن هذه العلاقة قريبة أو بعيدة، وقد تكون مباشرةً أو غير مباشرةٍ، فالحرارة والضوء آثاران جانبيان لوجود النار، ويجوز أن يستنتَج أحدهما من الآخر"(٧٨).

ولم يقف هيوم عند هذا الحد، بل أدى به اقتران العلية – أيضًا – إلى إنكار المعجزات، فالخشت يُصرح بأن هيوم هاجم مفهوم المعجزة، وبرهن على أن المعجزة خرق للمسلك العام للطبيعة، ولذلك لا يمكن حدوثها، ولا يمكن التصديق بها. فالعقلية العلمية المتشبعة بفيزياء نيوتن تؤكد انتظام واطراد قوانين الطبيعة بصورة لا تسمح أبدًا بوجود ذلك الاستثناء الذى يقتضيه حدوث المعجزات(٧٩). والدليل على ذلك نجده فى كتابات هيوم ذاته، حيث يقول مستندًا إلى العلاقة القائمة بين العلة والمعلول: "إن جميع استدلالاتنا المتعلقة بالوقائع الحياتية قائمة على العلاقة بين العلة والمعلول، إذ بواسطة هذه العلاقة يمكننا أن نذهب إلى ما بعد ذاكرتنا وحواسنا، فلو كان لك أن تسأل شخصًا عما يجعله يُصدق – واقعة حدثت – وهو غائب عنها، كأن يعتقد مثلًا أن صديقه فى فرنسا، فسوف يعطيك سببًا مقنعًا، وهذا السبب سيكون بعد واقعة أخرى: رسالة – مثلًا تلقاها منه، أو معرفة سابقة بقراراته ومشاريعه. وإذا ما عثر أحدهم على ساعة يدوية أو أي آلة أخرى فى جزيرة خالية، فإنه سيستنتج – بالضرورة – أنه كان ثمة فى يوم ما بشر فى تلك الجزيرة، فجميع استدلالاتنا المتعلقة بالوقائع الحياتية هى من نفس هذه الطبيعة. إذن هناك ارتباط بين الواقعة الراهنة والواقعة المستنتجة منها."(٨٠).

وتأكيدًا لما سبق طرحه يرى هيوم أن المعيار الأقصى الذى نحسم به كل الخصومات التى قد تنشأ فى الحياة دومًا هو معيار مستمد من التجربة والملاحظة، فإذا لم تكن هذه التجربة متواترة تمام التواتر على جانب من جوانبها، تلقيناها بأحكام لا تخلو من التضارب والتناقض، فكثيرًا ما نتردد فى تصديق الأخبار التى ينقلها الآخرون ، فنوازنها بما يقابلها من الحيثيات التى تولد الشك وقلة اليقين(٨١).

إذن لم يكن بِدعًا أن يقرر الخشت مفاد رأيه عن هيوم، بأنه رفض المعجزات، وكذلك رفض الإيمان باليوم الآخر – ما بعد الموت – فمما يؤكد قول الخشت –أيضًا – ألا وهو رفض هيوم لفرض الدين – وهو الله تعالى – قول "وليم كلى رايت" فى تاريخ الفلسفة الحديثة، حيث يقول "رايت": "أن هيوم عندما جاءه خبر وفاة والدته أثناء إقامته فى لندن، وجده مستر بويل (الشخص الذى كان يعيش معه فى نفس المنزل) فى كربٍ عميقٍ، وحزنٍ شديدٍ، ودموعه تتدفق بغزارة، فقال له بويل بعد أن واساه: "صديقى ! إن سبب هذا الحزن غير المعتاد هو نبذك لمبادئ الدين وطرحها

جانبًا؛ لأنك لو لم تفعل ذلك لواساك الإيمان الراسخ الذى يقول إن هذه السيدة الطيبة التى ليست هى أفضل الأمهات فحسب، بل هى أكثر المسيحيات تقوى، لا بد لها أن تكون سعيدة الآن تمامًا فى دار العدل"[٨٢].

وإلى هذا الحد يخلص الخشت بتأويل صريح متضمنًا قراءته الهيومية، وهذا التأويل -إن كان تأويلًا - هو أساس للمنهج البنيوى الذى أسسه الخشت فى فلسفة هيوم، فالخشت حاول جاهدًا تفكيك النصوص الهيومية، ويبدأ فى تحليل النصوص - المسكوت عنها - فى الدراسات الغربية والعربية، ومن خلال تحليلاته ينبثق التأويل من رحم التحليل، وإذا انبثق التأويل من رحم التحليل، فإن الخشت يؤسس لمنهج البناء، إذن فما البناء الذى شيده الخشت - ويعد أساسًا متينًا- لفلسفة هيوم الدينية ؟

إن الفيلسوف الذي يمقُت دين التوحيد، والمعجزات، وكذلك خلود الروح، والحياة الأخروية، والثواب والعقاب، وأيضًا مشكلة الشر فى العالم كمشكلة أخلاقية، علمًا بأن الأخلاق تنبثق من رحم الدين، فإن الفيلسوف الذى ينقض ذلك ما هو إلا ملحـــد، وعلى حد تعبير الخشت فإن الإلحاد Atheism مصطلح متعدد الدلالات، إذ لا يقصد به - فقط - إنكار وجود الله، وإنما له عشرة وجوه منها:

١. السلوك والتصرف فى الحياة كما لو كان الله غير موجود مع الإيمان نظريًّا بوجود الله، وهذا هو الإلحاد العملي.
٢. عدم الاهتمام بوجود الله أو عدم وجوده.
٣. إنكار النبوات.
٤. نسبة التحكم فى بعض الظواهر الكونية إلى غير الله الأحد، أو الشرك.
٥. وصف الله بما يتنزه عنه من صفات وأفعال ، أو تأويل أسمائه على ما لا يليق به.
٦. الاعتقاد فى الإنسان كوعي ووجود مبدع دون الإيمان بموجود مفارق.
٧. إنكار العناية الإلهية مع التسليم بوجود الله.
٨. الاعتقاد فى أن إنسانًا ما له طابع إلهي أو من أصل إلهي.
٩. تحريف تفسير آيات القرآن أو الطعن فى صحتها[٨٣].

الخشت وتاويل موقف هيوم الميتافيزيقي:

هل كان ديفيد هيوم فيلسوفًا ميتافيزيقيًا؟ وإذا كان كذلك - فإلى أى حد يمكن قبول الفكرة القائلة "بأن هيوم كان النواة الأولى للوضعية المنطقية المعاصرة فى دحضها للميتافيزيقا"؟ وإذا لم يكن هيوم ميتافيزيقيًّا

– فما الرؤية الجديدة التى قدمها الخشت فى أطروحته للماجستير مما جعل الدكتور مراد وهبةٍ – يقول عنها فى المناقشة – إنها إبــداع فلسفى ؟

تلك هى الإشكالية الرئيسة والوحيدة التى يحاول البحث الإجابة عنها، ومن ثم تقديم التأويلات الجديدة التى حاول الخشت أن يبرهن عليها فى كتابه "العقل وما بعد الطبيعة" ليكشف النقاب بتأويله عن مضمون فلسفة ديفيد هيوم التجريبية حتى تصبح فلسفته أكثر عقلانية، ومن ثم قبول – ما يمكن أن يندرج– تحت مضمون العقلانية من تبريرات ميتافيزيقية أو لاهوتية؛ لذلك فإن الإجابات المقدمة فى البحث ستكون محدودة العمق واليقين، لأن البحث فى ميتافيزيقا هيوم من منظور تأويلات الخشت يحتاج إلى العديد من الدراسات الفلسفية والميتافيزيقية.

ولكي نبدأ فى فهم منهج التأويل الميتافيزيقي الذى قدمه الخشت هنا، لا بد أن نعرف مفهوم الميتافيزيقا بوجه عام، وكذلك مضمون المنهج ذاته فى كتابات الخشت، فالميتافيزيقا: هى إحدى الفروع الرئيسة للفلسفة، وهى الفرع الذى يختص بمفهوم كينونة الوجود، ويختص أيضًا بمفاهيم عديدة متصلة بهذا المفهوم، مثل الجوهر والمادة والمكان. وتتألف الميتافيزيقا من مبادىء المعرفة إطلاقًا، والأمور العامة للوجود، والألوهية وهى رأس الوجود، وهى مباحث تشترك فى أعلى درجة من التجريد، وتسمى بالحكمة أو الفلسفة الأولى، أو العلم الإلهى(٨٤).

أما المنهج فيقصد به الخشت "مجموعة من القواعد والفرضيات والإجراءات والأمثلة لتحديد مدى وحدود الموضوع، وإنشاء طرق مقبولة للعمل ضمن هذه الحدود للوصول إلى الحقيقة" – وبعبارة أخرى – المنهج هو الطريقة التى نسير عليها وفق قواعد ومعايير للانتقال من المجهول إلى المعلوم، ومن الشك إلى المعرفة(٨٥).

وإذا كان المنهج – كما يقول الفيلسوف التأويلي – معايير ننتقل بها من المجهول إلى المعلوم، فما هو المجهول أو بالأحرى – المسكوت عنه – فى ميتافيزيقا هيوم؟

فى مقدمة كتاب تحقيق فى الذهن البشري An Enquiry Concerning Human Understanding أعلن هيوم مُفتتح لدحض الميتافيزيقا، إذ يقول: "إن الفلسفة البسيطة والواضحة ستظل دومًا تحظو بتفضيل عامة الناس لها على الفلسفة الدقيقة والمستعصية (يقصد الميتافيزيقا)، وما من شك فى أن الكثير سيوصون بها خيرًا، لا لأنها أحب إليهم

فحسب، وإنما لكونها تعود عليهم بفائدة من الثانية. حيث تدخل فى حياة الناس، فتنقى القلب والأهواء، إذ إنها تشتغل بتلك المبادىء التى تُسيّر أفعال الناس، لُتصلح من سلوكهم وتقربهم من أنموذج الكمال الذى تصفه لهم. وعلى النقيض من ذلك، فإن الفلسفة الدقيقة المستغلقة لا تدخل فى مشاغل الحياة أو العمل الإنساني، ولا يمكن لمبادئها أن تحافظ بسهولة ويسر على أي تأثير فى سيرتنا وسلوكنا"(٨٦).

ولا يقف هيوم عند هذا الحد بل قال بصريح العبارة: "إذا كان عامة الجنس البشري يكتفون بتفضيل الفلسفة البسيطة على الفلسفة المجردة المستغلقة بدون أن يحتقروها، فقد يكون من المناسب أن نُساير هذا الرأى العام، وأن نوافق بأن يتصرف كل واحد دون اعتراض حسب شعوره الخاص، ولكننا فيما بعد، سنذهب جميعًا إلى رفض جميع الاستدلالات المتعمقة والمستغلقة ، بمعنى رفض كل ما يسمى عادة ميتافيزيقا رفضًا مطلقًا"(٨٧).

ويساير هيوم حملته الهجومية على الميتافيزيقا حيث لا يقتصر على حد الرفض أو الدحض فحسب، وإنما يأخذ فى شرح الأسباب التى تجعل كافة البشر يستنكرونها فتراه يقول: "لكن يؤخذ على غموض الفلسفة المجردة المتعمقة (الميتافيزيقا) فى المبادىء الأولى أنها مُزعجة ومُرهقة، كما أنها مصدر للريبة والوهم لا عاصم منه، وهنا يكمن أفضل اعتراض على الميتافيزيقا لكونها ليست علمًا بأي معنى من معاني العلم، بل هى وليدة عُقم جهود الغرور البشري الذى يريد الدخول فى موضوعات لا يمكن للذهن البشري أن يتعقلها، أو هي وليدة مكر الخرافات الشعبية التى تعجز أن تدفع عن نفسها فى أرض صالحة"(٨٨).

وهنا يأتى دور الخشت ويبدأ فى تأويل النصوص بشكل كلي ليقف على المعنى الباطنى للنص الهيومي، فيبدأ الخشت بتوضيح غرضه من التأويل ومن تفسير المجهول فى كتاباته بقوله: "إن البحث الفلسفي يصعد من الشرح النصي إلى التأويل الفلسفي، عبر قراءة لا تتعقب التفاصيل ولا تغرق فى الجزئيات؛ لأنها قراءة للنسق فى بنائه الداخلي، قراءة كاشفة مشخصة للأعراض، تقف عند لحظات المنهج لتتفحص مدى عقلانيته، كما تقف عند الفضاء الموجود بين تلك اللحظات أو ورائها، لتتصيد المعنى الباطني (الجواني) أكثر مما تتصيد المعنى الظاهري (البراني)، ليست قانعة بما هو منطوق به وحده، بل متطلعة إلى استنباط ما هو مسكوت عنه أو ما

يعجز عنه نطاق القول"[٨٩].

إذن يحاول الخشت تأويل ميتافيزيقا هيوم من خلال الغوص والتعمق فى المسكوت عنه، فيستخدم منهجَي التأويل والبناء – وهما المناهج الوحيدة المناسبة للخشت فى ميتافيزيقا هيوم – على الرغم من استخدامه لمناهج عدة فى كتاباته حسب ما يقتضيه البحث الذى يقوم به ؟ إذن ما التبريرات التى استند عليها الخشت فى تأويله لميتافيزيقا هيوم ؟؟

يبدأ الخشت فى تقديم تبريراته الفلسفية لإثبات وجود الميتافيزيقا العلمية فى فلسفة هيوم، كما وصفه من قبل بالعقلانية الديكارتية، فيرى الخشت أن هناك الكثير من من كبار المؤرخين والفلاسفة حاولوا جاهدين إثبات تهافت النظريات القديمة التى تقول بأن هيوم رفض الميتافيزيقا رفضًا كليًا، وعلى رأس هؤلاء المؤرخين كان "إميل برهييه" (١٨٧٦- ١٩٥٢) حيث نص حرفيًا – كما يقول الخشت – على أن "هدف هيوم هو هدف كثير من مفكرى زمانه وعلى الأخص منهم كوندياك، وهو اتخاذ الميتافيزيقا علما" كما أن هناك فيلسوفًا كبيرًا مثل هيجل – يراه الخشت – أنه قد نص حرفيًا فى موسوعة العلوم الفلسفية على أن: " كل فلسفة تصف نفسها بالتجريبية العلمية (ومنها طبعًا فلسفة هيوم) تستخدم مقولات ميتافيزيقية مثل: المادة، القوة، الواحد، الكثير، العمومية، واللامتناهى...إلخ، وتتابع هذه المقولات وتستخرج منها نتائجها، وهى بذلك تفترض الصورة القياسية (أو شكل القياس فى التفكير) وتستخدمها، دون أن تدرك طوال هذا الوقت أنها تتضمن فى جوفها الميتافيزيقا، وأنها تستعمل هذه الميتافيزيقا، وتستفيد من هذه المقولات وتراكيبها بأسلوب غير نقدى"[٩٠].

ويضيف الخشت أيضًا – أن هيجل أكد على – أن التحليل الفلسفى الذى يبدأ من العينى (كما هو الحال عند هيوم) والاستحواز على هذه المادة يعطيه ميزة لها اعتبارها يتفوق بها على التفكير المجرد الذى كانت تأخذ به الميتافيزيقا القديمة، فهو يؤكد الفروق والاختلافات فى الأشياء، وتلك مسألة بالغة الأهمية. لكن هذه الاختلافات نفسها ليس قبل كل شىء سوى صفات مجردة – أعنى أفكارًا – ولقد قيل أن هذه الأفكار هى الماهية الحقيقية للأشياء، وهكذا نرى البديهية القديمة التى كانت تأخذ بها الميتافيزيقا تعود إلى الظهور من جديد وهى القول بأن حقيقة الأشياء تكمن فى الفكر[٩١].

ولكن على الرغم مما قاله الفيلسوف الألمانى الكبير هيجل عن وجود نوع من

الميتافيزيقا فى فلسفة هيوم إلا أن الخشت هنا يفصح عن أهمية النص السابق حتى لا يتم تأويله من زاوية واحدة، فيقول الخشت: "ولا يعنى استشهادنا بهيجل أن ميتافيزيقا هيوم كانت ميتافيزيقا تقليدية، فقد تكون ميتافيزيقا هيوم متضمنة لبعض مقولات الميتافيزيقا التقليدية، لكنها فى نهاية الأمر ومن حيث الجوهر تختلف تمامًا عن ذلك النوع من الميتافيزيقا التى كانت تحلق بأجنحة الوهم فى عالم الأحلام بعيدًا عن أرض الواقع"(٩٢).

ويبرر الخشت موقفه من النصوص الهيجليلة السابقة مستندًا هنا إلى ما قاله "بيير دوكاسيه" فى كتابه (الفلسفات الكبرى) ليبرهن بآراء دوكاسيه وجود نوع معين من الميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، حيث جاء على لسان دوكاسيه قوله: "أما هدف هيوم فإنه ينحصر فى محاولة تحويل الميتافيزيقا إلى علم (نيوتونى) وفى الإنتقال من أحكامنا الفردية على الأشياء إلى مبادئها العامة"(٩٣). ويستند الخشت هنا أيضًا إلى ما قاله الفيلسوف الإنجليزى برتراند رسل فى "حكمة الغرب" عن فلسفة هيوم بقوله: " توحى محاولته – أى هيوم – تشييد مذهب جديد بأنه تأثر بالمذهب العقلى السائد فى القارة الأوربية، وذلك بسبب الصلات التى ربطت بينه وبين المفكرين الفرنسيين الذين ظلوا متأثرين بالمبادئ الديكارتية"(٩٤).

إن الذى حدا بالخشت إلى ذكر هذه الدلالات التى تؤكد أن فلسفة هيوم – فلسفة تحوي فى باطنها ميتافيزيقا علمية – ما ذكره هيوم أيضًا فى بعض سطور كتابه – تحقيق فى الذهن البشري – إذ يقول: "والطريقة الوحيدة لتخليص العلم مرة واحدة من هذه المسائل الملتوية، هو أن نبحث بجدية فى طبيعة الفهم البشري، وأن نُظهر بالتحليل الدقيق قدرته وطاقته، أنه ليس بوسعه – بأى شكل من الأشكال – أن ينخرط فى مثل هذه المسائل البعيدة الشائكة. وعلينا أن نتحمل هذه المشقة لكي نعيش، بلطف ما تبقى من الزمان. وعلينا أن نراعي الميتافيزيقا الحقيقية، ونعتنى بها، لكي نقوض الميتافيزيقا المزورة. فالدواء الناجح الوحيد الشافي لكل الأشخاص وكافة الأوضاع هو الاستدلال السليم، وهو وحده القادر على تقويض الفلسفة الشائكة واللغو الميتافيزيقي"(٩٥).

يمكن القول إن الخشت بنى تأويلاته الميتافيزيقية فى فلسفة هيوم من خلال سطور النص السابق، حيث عمل الخشت على الخوض فى باطن النص وليس ظاهره، ومضمون النص السابق جعل الخشت

يستشهد بالكثيرين الذين قالوا بأن فلسفة هيوم تحوى فى باطنها ميتافيزيقا علمية أمثال "إميل برهييه"، "بيير دو كاسيه"، "هيجل"، "برتراند رسل". بل ثمة رؤية أخرى أضافها محرر الموسوعة الفلسفية عن الميتافيزيقا – كما يقول الخشت – حيث يقول المحرر: "وثمة تحول للتأكيد أكثر إثارة للانتباه حين ننتقل إلى الميتافيزيقيين النقديين هيوم وكانط..." كما يقول المحرر فى موضع آخر: "ويتطلب هيوم وكانط، ذلكما الميتافيزيقيان النقديان، انتباهًا خاصًّا منفصلاً"(٩٦). وعندما يتكلم كانط عن هيوم وخصومه فإنه يقول إنهم: "أنكروا ما قام به – يقصد هيوم – من أجل إصلاح الميتافيزيقا". والأكثر من هذا كله – كما يقول الخشت – أن هناك نصوصًّا عند هيوم تشير صراحة إلى كونه لم يرفض الميتافيزيقا على الإطلاق، وإنما رفض الميتافيزيقا الزائفة فحسب، حيث وصف –هيوم البحث – فى طبيعة العقل الإنسانى أنه: "تحصيل الميتافيزيقا الحقة بشىء من العناية لتحطيم الميتافيزيقا الزائفة والدخيلة"(٩٧).

ويؤكد الخشت أن هناك نصوصًا لـ "هيـوم" تثير الشك فى تجريبيته الأصيلة مثل قوله: " مهما كانت درجة تركيزنا لانتباهنا خارج أنفسنا، ومهما تعقبنا خيالنا إلى السموات أو إلى أطراف الكون، فلن نتقدم بالفعل خطوة واحدة خارج أنفسنا". أضف إلى ذلك أن المنهج التجريبى فى العلوم الطبيعية الذى حاول هيوم إدخاله فى الفلسفة – كما يقول الخشت – هو نفسه عقلانى البداية والأصل"(٩٨).

وبعد أن قام الخشت بتقديم تبريراته التى استند عليها فى جعل فيلسوفه ميتافيزيقيًا، فإن السؤال الذى يتبادر إلى الأذهان فى هذا المقام يكون كالتالى:

إذا كان هيوم فيلسوفًا ميتافيزيقيًّا، فبأى معنى كان ميتافيزيقيًا ..؟؟

يرى الخشت أن الإجابة الدقيقة على هذا التساؤل تلزمنا منطقيًّا بضرورة البدء بتحديد معانى الميتافيزيقا السائدة فى الوسط الفلسفى، حيث تذكر الموسوعة الفلسفية – كما يقول الخشت(٩٩) – عدة معان للميتافيزيقا، وهى كالتالى:

١. الميتافيزيقا دراسة شاملة لما هو جوهرى فى المعرفة والتفسير والوجود.
٢. وهى دراسة للواقع من حيث إنه يقابل الظاهر المحض.
٣. وموضوعها هو – أو قد كان – مما يتجاوز الخبرة.
٤. الميتافيزيقا دراسة الجهاز العقلى أو حدود

الكائنات الإنسانية، أو هكذا ينبغى أن تكون.

٥. ومنهجها "قبلى" أكثر من أن يكون تجريبيًا أو هكذا كان.

٦. تقترح الميتافيزيقا مراجعة لمجموعة الأفكار التى على أساسها نفكر فى العالم، وتغييرات فى مجموعة أفكارنا، وطريقة جديدة فى الكلام.

ويفسر الخشت هذه المعانى السابقة من خلال النظر فى معنى ومدلول كل تعريف من التعريفات السابقة، فيرى أن الناظر فى قائمة التعريفات السابقة وفى مضمون العمل الفلسفى عند هيوم، يجد أنه كان ميتافيزيقيًّا بالمعنى الرابع والسادس والأول، فى حين أنه هاجم سائر معانى الميتافيزيقا المذكورة فى القائمة، حيث يميز هيوم بين معان مقبولة للميتافيزيقا ومعان مرفوضة لها، فالأولى تجعل الميتافيزيقا علمًا، والثانية تدخلها فى دائرة الرؤى والأحلام[١٠٠].

وإذا كان كانط – كما يقول الخشت – قد رأى أن الميتافيزيقا عبارة عن نقدٍ للعقل المحض، ونقدٍ للعقل العملى، ونقدٍ لملكة الحكم، أى أنها عبارة عن فحص للملكات الإنسانية بهدف الكشف عن حدود الملكات لتقرير إمكان الميتافيزيقا بوجه عام وتحديد مصادرها ومداها وحدودها. وبهذا التأويل الكانطى للميتافيزيقا سعى هيوم – كما يقول الخشت – فى أن يقيم الميتافيزيقا علمًا دقيقًا، ورأى أن هذا لا يتأتى إلا بجعل موضوعها هو "تحليل الطبيعة الإنسانية بطريقة منظمة بهدف استكشاف مبادىء الطبيعة الإنسانية، حيث أراد إيجاد نظرية عامة تمامًا عن تلك الطبيعة تفسر الأسباب التى تجعل الكائنات الإنسانية تفكر، تدرك، تفعل، وتشعر[١٠١].

وهنا يلاحظ الخشت – أن الميتافيزيقا مع هيوم – أصبحت علمًا للإنسان، حيث صارت تتساءل عن شروط ومبادىء المعرفة والأخلاق والعواطف، كما أصبحت ذات أهمية جوهرية لكل العلوم الأخرى التى تعتمد عليها أساسيًّا، فالهندسة، والفلسفة الطبيعية (أى علم الطبيعة)، والدين الطبيعى، تعتمد كلها على علم الإنسان لأنها تخضع لمعرفة الإنسان وتحكمها طاقاته وقدراته، ومن ثم يلزم أن نعرف حدود وطبيعة هذه الطاقات والملكات إذ ما أردنا لتلك العلوم أن تقوم على أساس سليم. وتعتبر علوم المنطق، والأخلاق، والنقد، والسياسة أكثر قربًا وصلة بالطبيعة الإنسانية[١٠٢].

إن ما سبق تقديمه عن ميتافيزيقا هيوم من منظور تأويلى لفلسفته، نجد أن الخشت هنا –

يساوى بين الميتافيزيقا وعلم الإنسان – فكما يقول أن هيوم يزعم فى تقديمه لعلم الإنسان (= الميتافيزيقا) إنما يقدم فى الواقع نسقًا تامًّا للعلوم معتمدًا على أساس جديد تمامًا على وجه التقريب، ويعد هذا هو الأساس الوحيد الذى يمكن للعلوم أن تقوم عليه بشكل آمن. إذن فالميتافيزيقا (= علم الإنسان) هو أساس كل العلوم النظرية والعملية، ولذا فإن تقديم تصورات جديدة عن الطبيعة الإنسانية لا بد أن يترتب عليه تغيير فى تصورات تلك العلوم، وعليها كانت الميتافيزيقا فى فلسفة هيوم مساوية لعلم الإنسان ذلك العلم الذى يعتبره هيوم أساسًا لكل العلوم الأخرى التى تندرج تحته[١٠٣].

وفضلًا عن هذا يقول الخشت – أن هيوم أعلن صراحة – أن هدفه يتمثل فى محاولة إدخال منهج الإستدلال التجريبى فى الموضوعات الأخلاقية، وبصرف النظر عن حقيقة ذلك المنهج: هل هو فعلًا منهج تجريبى أم أنه عقلى، فإن من الواضح أن هيوم مهتم بتحقيق تقدم فى الموضوعات الأخلاقية مثل التقدم الذى حققه نيوتن فى علم الطبيعة، وليس المقصود بالموضوعات الأخلاقية هنا – نفس المعنى الدلالى الذى يحمله علم الأخلاق الآن، وإنما كان المقصود به على وجه التحديد هو "الميتافيزيقا" فقد كان تعبير الموضوعات الأخلاقية فى القرن الثامن عشر يعادل كلمة الميتافيزيقا، وقد صرح هيوم بذلك فى عبارة له يقول فيها: "تتمثل العقبة الرئيسة التى تقف أمام تقدمنا فى العلوم الأخلاقية أو الميتافيزيقية فى غموض الأفكار والتباس معانى المصطلحات"[١٠٤].

لقد أكد الخشت فى تأويله لميتافيزيقا هيوم، أن محور اهتمام ديفيد هيوم هو القضاء على غموض أفكار الميتافيزيقا من خلال تحليل العقل الإنسانى وطاقاته وحدوده وطبيعة أفكاره، إنما يعد فى طليعة ميتافيزيقِّي القرن الثامن عشر، حيث كان موضوع الميتافيزيقا فى القرن الثامن عشر هو دراسة العقل الإنسانى وفحص ملكاته، أو كما يقول – الأب بوفييه – (١٦٦١– ١٧٣٧م) : "إن موضوع الميتافيزيقا هو القيام بتحليل صحيح جدًا لموضوعات الذهن بحيث نجرى محاكمتنا العقلية بصدد الأشياء بأعظم قدر ممكن من الصحة والدقة"[١٠٥]. ولا شك هنا كما يقول الخشت – أن الموضوع الذى كان يدرسه هيوم يتطابق تمامًا مع موضوع الميتافيزيقا الذى يتحدث عنه الأب بوفييه.

من خلال السطور السابقة يتضح أن الخشت يرى من خلال النصوص الهيومية

أن فيلسوفه كان ميتافيزيقيا من الطراز الأول، ولكن ميتافيزيقا هيوم كما - صرح الخشت - تختلف عن الميتافيزيقا التقليدية التى تحلق فى أفاق من اليوتوبيا والأحلام، وإنما الميتافيزيقا التى قصدها هيوم فى بحثه كانت هى الميتافيزيقا العلمية، وبالتالى فإن هيوم من منظور تأويلات الخشت لم يرفض الميتافيزيقا بالمعنى الكلى للكلمة، وإنما بالفعل رفض الميتافيزيقا التقليدية التى لا تستند فى منهجها إلى واقعيات الكون، وإنما كان مرجعها هو أن تحلق فى عالم خيالى من الرؤى والأحلام اليوتوبية.

ويأتى السؤال الذى يطرحه الخشت، ويراه الباحث من الأسئلة المهمة والشائكة فى حقل الدراسات الميتافيزيقية على الإطلاق، حيث كان هذا السؤال بالفعل المرجع الرئيس الذى استندت إليه الوضعية المنطقية برمتها فى دحض الميتافيزيقا، والسـؤال كالتالى:

لماذا اعتبر المحللون والكتاب هيوم محطمًا لكل ميتافيزيقا على الإطلاق؟

يرى الخشت أن الإجابة على هذا التساؤل الفلسفى تكمن فى ثلاث نقاط مهمة[١٠٦]، كالتالى:

الأول: أن ميتافيزيقا هيوم كانت ميتافيزيقا جديدة، تمثل فى حقيقتها ثورة جذرية على كل الميتافيزيقيات التقليدية، فظن المحللون أن تلك الثورة الجذرية تعنى رفض الميتافيزيقا على الإطلاق. وكان ظنهم هذا نتيجة أنهم اعتادوا قياس الحاضر على الماضى، فقاسوا مواقف هيوم الفلسفية على ميتافيزيقيات الماضى، فوجدوها مباينة لها تمامًا، ومن ثم صدر حكمهم المتقدم، ونسوا أن ميتافيزيقيات الماضى ليست كل الميتافيزيقا، وأنها لا تعدو أن تكون محاولات إنسانية أولى لفهم العالم لابد من تجاوزها فى يوم ما.

الثانى: وهذا السبب متفرع عن السبب الأول .. ويتمثل فى الظن بأن تفنيد هيوم الفلسفى للأدلة القبلية والبعدية على تحديد طبيعة الله وإنكاره للأدلة على جوهرية النفس - يعنى أنه ليس ميتافيزيقيًّا- فأن تكون ميتافيزيقيا فى نظرهم لا بد أن تكون مؤمنًا من الناحية الفلسفية بطبيعة محددة لله ومعتقدًا فى جوهرية النفس.

ولا ريب أن هذا ظن خاطىء لأن هيوم إذ يتفلسف على ذلك النحو إنما يقدم تصورات جديدة للكون والحياة والإنسان، تقنع بالوقوف عند هذا العالم، وتلتمس مبادئ تفسيره من داخله. وبالتالى فإنه يقدم ميتافيزيقا جديدة تسعى لاكتشاف الحقيقة الموجودة داخل العالم بدلًا من التحليق فى

عوالم الأوهام.

الثالث: الفهم الخاطئ لقول هيوم: "إننا إذا ما استعرضنا المكتبات مزودين بهذه المبادىء فيالها من إبادة تلك التى نضطر إلى فعلها، فلو تناولنا بأيدينا كتابًا كائنًا ما كان، كتابًا فى اللاهوت أو فى الميتافيزيقا المدرسية – مثلًا – فلنسأل هل يحتوى هذا الكتاب على تدليلات مجردة خاصة بالكم والعدد؟ لا ..هل يحتوى على تدليلات تجريبية خاصة بأمور الواقع والوجود؟ لا .. إذن فألق به إلى النار لأنه يستحيل أن ينطوى على شىء غير السفسطة والوهم". أضف إلى هذا النص الأخير الذى استشهد به الخشت قول هيوم – أيضًا – "أنه عندما يكون التحام أجزاء قطعة الحجر أو حتى ذلك التأليف بين الأجزاء الذى يجعلها ممتدة، أقول عندما تكون هذه الموضوعات المألوفة مستعصية التفسير، ومشتملة على ملابسات بالغة التنافر والتناقض، فكيف نستطيع أن نصل إلى رأى قاطع فى أصل العوالم، أو نتتبع تاريخها من الأزل إلى الأبد"[١٠٧].

وفى محاورته مع فيلون ذكر هيوم على لسان بامفيلوس هذا التساؤل العجيب، والذى مفاده أنه لا جدوى من دراسة الميتافيزيقا، إذ يسأل صديق المحاورة قائلاً: "وماذا أنت قائل فى شخص لم يكن لديه شىء جزئي يُطبق عليه حجج "كوبرنيقوس" و "جاليليو" عن حركة الأرض فامتنع عن التصديق بها استنادًا إلى ذلك المبدأ العام، وهو أن هذه الموضوعات أبعد من أن يفسرها عقل البشر الضيق المغالط"[١٠٨].

من هنا يمكن القول إن هذه النصوص التى ذكرها هيوم فى كتاباته "بحث فى العقل الإنسانى" وكذلك فى "محاورات فى الدين الطبيعي" يستشهد بها المحللون دائمًا على رفض هيوم للميتافيزيقا على الإطلاق. فقد أخذ بهذا النص السابق كل من: "كارناب" و "آير"(*) و"جون ويزدم"(**) من دعاة الوضعية المنطقية Logical positivism حيث رأى "كارناب" أن الميتافيزيقا محاولة للتعبير عن أشياء لا يستطيع العلم التجريبي تناولها، ولا يقوى على الوصول إليها، حيث قسم كارناب القضايا التى تحمل معنى إلى ثلاث فئات، الأولى: قضايا صادقة بالنسبة لصورتها وحدها (القضايا التحليلية فى المنطق والرياضيات) وهى لا تخبرنا بشىء عن الواقع، الثانية: قضايا تنطوى على تناقض منطقي وهذه قضايا كاذبة بالنسبة لصورتها، الثالثة: قضايا تجريبية وقد تكون صادقة أو كاذبة[١٠٩].

وأما القضايا التى لا تنتمي إلى أي من هذه الفئات الثلاثة، فهي خلو من كل معنى، وقضايا الميتافيزيقا عند كارناب – من هذا القبيل – حيث أكد أن العمل الأساسي للوضعية المنطقية هو التحليل المنطقي لا الفلسفة، والفلسفة التى يتبرأ منها هى الميتافيزيقا بالمعنى الذى يجعل الميتافيزيقا بحث فى أشياء لا تقع فى المجال الحسي مثل "الشىء فى ذاته" و "المطلق" و "المثل الأفلاطونية" و "العلة الأولى للعالم" و "العدم" و "القيم الأخلاقية والجمالية" وما إلى ذلك(١١٠).

وقد انسحب هذا الموقف الرافض للميتافيزيقا إلى الأخلاق، حيث يقول هانز رايشنباخ "إن البديهيات الأخلاقية Ethical Axioms ليست حقائق ضرورية، لأنها ليست حقائق من أي نوع، فالحقيقة صفة لقضايا، بينما التعبيرات اللغوية الأخلاقية ليست قضايا statements بل هى توجيهات directives، والتوجيه لا يمكن تصنيفه على أساس كونه صوابًا أو خطأً، فالجمل التوجيهية لها طبيعة منطقية تختلف عن طبيعة الجمل الإخبارية"(١١١). فلو أتاك فيلسوف – على حد تعبير رايشنباخ – يُخبرك بأنه قد اهتدى للحقيقة النهائية ultimate truth فلا تُصدقه، لأنه يردد أخطاء ظل أسلافه يرتكبونها طوال ٢٠٠٠ عام. فالفيلسوف يجب أن يكون متواضعًا كالعالم، وعندئذ قد يُحرز من النجاح ما أحرزه رجل العلم، وذلك حين يتوقف عن أسئلة ما ينبغي أن يكون(١١٢). وقد انبثق موقفهم هذا من علم الأخلاق من موقفهم الفلسفي العام – كما يقول الخشت – فهم لا يؤمنون إلا بما هو وضعي حسي وثبت علميًّا ويمكن التحقق منه بواسطة مبدأ التحقق من المعنى principle of Verification ، فما ثبت أنه واقعة حسية معطاة تجريبيًّا هو الصادق، وما هو معارض للمعطى الحسي هو الكاذب، أما ما لا يمكن التحقق منه، بأن نجد أنه لا هو متوافق مع الواقع الحسي، ولا هو متعارض معه، فهذا يكون أمرًا بلا معنى meaningless ومجرد لغو. ومن هذا القبيل فى مجال الدين: الألوهية، الروح، الملائكة،....إلخ، أما فى مجال الميتافيزيقا فمثل: العلة، الجوهر، العدم، الوجود الكلي،...إلخ(١١٣).

ومن هنا يرفض الوضعيون المناطقة الأخلاق ذات الطابع الميتافيزيقي أو الديني، لأنها خالية من المعنى، إذ لا يمكن التحقق منها لخلو قضاياها من المضمون التجريبي. وحاولوا إقامة الأخلاق على المنفعة أو تحقيق سعادة الإنسان(١١٤). وعلى ذلك يكون الوضعيون المناطقة طالبوا – بالفعل – حذف

الميتافيزيقا من مجال البحث الفلسفى بزعم خلوها من المعنى، فى حين رفض "كارل بوبر" موقف الوضعيين المناطقة وهاجمه بشدة مبينًا تهافته(١١٥).

وهنا يمكن القول إن "كارناب" و"رايشنباخ" وكل دعاة الوضعية المنطقية اعتمدوا اعتمادًا كليًّا على ما قال به ديفيد هيوم فى شأن الميتافيزيقا، فقد عقب كارناب على قول هيوم "ونحن على اتفاق مع هذا الرأى الذى يدين به هيوم – وخلاصته مترجمًا إلى لغتنا – أى لغة الوضعية المنطقية، أن قوانين العلوم الرياضية والتجريبية هى وحدها التى تحمل معنى، أما غيرها من قضايا العلوم المزعومة الأخرى فإنها عديمة المعنى؛ لأنها فى رأيه تحصيل حاصل لا تنبئ عن علم جديد(١١٦).

فالميتافيزيقا أقرب إلى الشعر – على حد تعبير كارناب – ولكن الفرق بين الميتافيزيقي والشاعر أن الميتافيزيقي لا يعترف بأن أقواله وليدة الانفعال والعاطفة، أما الشاعر فهو يسلم بأن شعره مجرد أداة فنية يعبر بها عن شعوره بالحياة، والموسيقى أقدر من الفلسفة فى التعبير عن هذا الشعور: فالميتافيزيقي موسيقي تنقصه كل المواهب الموسيقية(١١٧).

وهنا يفسر الخشت النص السابق الذى اعتمد عليه الوضعيون المناطقة، ذلك النص الذى يعد نكسة لميتافيزيقا هيوم، وبل ونكسة الميتافيزيقا المعاصرة، فيقول الخشت: "لكن لو أمعنا النظر فى عبارات هذا النص لوجدنا أن هيوم لم ينصح بإبادة كتب الميتافيزيقا مطلقًا دون تقييد بشرط أو سبب، وإنما اشترط خلوها من الاستدلالات الاستنباطية والاستقرائية، لأنها بفقدانها لهذه الاستدلالات تفقد صفة العلم الدقيق، ومن ثم فإنها لا تحوى إلا استدلالات سفسطائية وأحكامًا وهمية"(١١٨). وعليها فإن هيوم رفض الميتافيزيقا القديمة المشتملة على السفسطة والوهم، وسعى جاهدًا إلى إدخال الأنواع الدقيقة من الاستدلال فى دراسة الميتافيزيقا بهدف جعلها علمًا محكمًا.

ومن خلال ما سبق نستطيع القول بصراحة – أن الخشت أثبت تهافت – ما استندت عليه الوضعية المنطقية فى فهمها الخاطئ لنصوص ديفيد هيوم التى عولت عليه بأنه من أوائل التجريبيين الذين دقوا شعاب الرفض نحو استبعاد الميتافيزيقا من الحقل الفلسفى، إذ رأت الوضعية المنطقية أن كل ما استندت إليه فلسفة هيوم فى الميتافيزيقا، هو النص الأخير الذى أورده الخشت وقام بتحليله من زاوية علمية، وبالتالى رفضت الوضعية المنطقية الميتافيزيقا، ولكن رفضها

لم يكن من فراغ فلسفى، إذ شيدت رؤيتها على التحليل الخاطىء لنصوص هيوم، إلى أن جاء الخشت فى أطروحته للماجستير التى قال عنها – اعضاء لجنة المناقشة– أنها عبارة عن إبـــداع فلسفى، وأثبت فيها بجداره من خلال تأويل عميق لفلسفة هيوم وكانط، أن ديفيد هيوم لم يكن محطمًا للميتافيزيقًا، بينما كان من أوائل من قالوا بالميتافيزيقا العلمية.

نتائج البحث

وختامًا.. يمكن أن نستخلص من هذا البحث عدة نتائج، وذلك من خلال تتبعنا لمنهجية الفيلسوف التأويلي محمد عثمان الخشت فى تفسير الدين والميتافيزيقا لدى هيوم، وأهم النتائج ما يلي:

أولًا: تقف فلسفة محمد عثمان الخشت بشكل عام على فكرة تأويل النص الفلسفي، فالتأويل لازمة أساسية بُني عليها فكره بشكل كلي، فى حين لا تقف فلسفته عند حد التأويل، حيث يستخدم المنهج البنيوي مباشرة بعد قيامه بتأويل المسكوت عنه من النصوص، وعليها يكون الخشت صاحب مذهب فلسفي أصيل.

ثانيًا: من خلال تتبع العدد الزخم من – مؤلفات الخشت – يمكن أن نطلق عليه الفيلسوف الموسوعي، حيث كتب فى شتى المجالات الفلسفية والدينية، وكذلك الحياة والأمور الاجتماعية الخاصة بالشباب، فى حين لم يكتب الخشت فى مضمار علم الجمال وفلسفة الفن، حيث تشكلت فلسفته فى مناقشة قضايا الأديان والمذاهب الحديثة والمعاصرة.

ثالثًا: يظهر تأويل الخشت فى فلسفة هيوم باعتباره يقف بين التجريبية والعقلانية، وهذا يعد سابقة للخشت فى تفسير فلسفة هيوم بمنهجية تأويلة، إذ دأبت الدراسات التى تقف عند ظاهر النص إلى اعتبار هيوم تجريبى صارم، بينما بُنى الخشت مذهب هيوم فى صورة جديدة، يجمع فيها بينه وبين كانط، لذا صك الخشت اصطلاح الهيومكنطية.

رابعًا: من خلال تحليلات الخشت يعد هيوم أحد الفلاسفة المهتمين بمعالجة المشكلات الدينية فى الفكر الفلسفي، والدليل على ذلك كتاباته التى اعتمد عليها الخشت بصورة رئيسة، بينما يعد هيوم من خلال تأويلات الخشت الفيلسوف الملحد الذي رفض فرضية وجود الله فى الكون، وعلى ذلك يمكن القول أن الخشت اعتمد على منهج التحليل فى موقف هيوم الدينى أكثر من اعتماده على التأويل.

خامسًا: الخشت صاحب نظرية تأويلية أصيلة فى الميتافيزيقا، حيث أثبت أن هيوم داعية للميتافيزيقا العلمية، مثله فى ذلك – مثل كانط– رافضًا فى ذلك شتى الدراسات التى

تقول أن هيوم أول من رفض الميتافيزيقا.

الهوامش:

(1) Hugh Miller: The Naturalism of Hume, the Philosophical Review, Vol.38, No.5 (sep. 1929,. 469.

(2) A.R. Lacey: A Dictionary of Philosophy, Routledge & Kegan Paul, Ltd, third edition, 1996, p.139.

(3) Donald C. Ainslie: Hume`s Reflections of the Identity and Simplicity of Mind, Philosophy and Phenomenological Research, Vol.62, No.3 (May, 2001), p. 559.

(٤) محمد مدين: نظرية القيمة عند ديفيد هيوم – بحث فى إعادة بناء الرسالة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧، ص٥.

(٥) ديفيد هيوم: تحقيق فى الذهن البشري، ترجمة د. محمد محجوب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٨٥.

(٦) محمد عثمان الخشت: العقل .. وما بعد الطبيعة – تأويل جديد لفلسفتى هيوم وكانط، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٨.

(٧) المصدر السابق: ص٩.

(٨) المصدر السابق: ص٩.

(9) Hugh Miller: The Naturalism of Hume op. cit p. 475.

(10) Ibid: p. 477.

(11) Anthony Kenny: The Rise of Modern Philosophy Vol III Clarendon press Oxford 2006 p. 80.

(١٢) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة،١٩٨٥م، ص١٤٠،.

(١٣) حسن حنفى: مقدمة فى علم الاستغراب، الدار الفنية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م، ص٢٦٠.

(١٤) غيضان السيد على: الخشت.. ووجه آخر للفيلسوف – ظاهرة الاشتباه فى الفلسفة الحديثة، بحث منشور فى – عقلانية بلا ضفاف – الظاهرة الدينية والظاهرة السياسية فى أعمال الخشت الفكرية، مراجعة وتقديم أ.د. عصمت نصار، دار الكتاب العربى، دمشق – القاهرة، ٢٠١٣م ص٦٧.

(١٥) ديفيد هيوم: تحقيق فى الذهن البشري، مصدر سابق، ص٢٩.

(١٦) المصدر السابق: ص٧٤.

(١٧) المصدر السابق: ص١٤٦.

(١٨) الخشت: العقل وما بعد الطبيعة، مصدر سابق، ص١٦.

(١٩) المصدر السابق: ص١٧.

(*) ليس عيبًا أن يختلف التلميذ مع أستاذه فى الرأى،

فقد اختلف د. الخشت سابقًا مع أستاذه د. يحيى هويدى فى رسالته للماجستير، وكان يناقشه فيها كل من: أ.د / يحيى حامد هويدى "مشرفًا"، وأ.د/ مـــراد وهـبه "عضوًا" ، وأ.د / حـسن حنـفى "عضوًا"، حيث يقول الخشت"وإننا إذ نختلف مع أستاذنا د. هويدى فى الرأى، فإننا نكون متفقين معه تمامًا فى منهجه الفلسفى الذى تعلمنا منه أن الخلاف بين التلميذ والأستاذ أمر مشروع إذا كان يستند إلى أساس، وكلى أمل أن يكون خلافى فى هذا الرأى مع أستاذى مبنيًا على أسباب منطقية".

انظر – العقل .. وما بعد الطبيعة، ص ٢٤.

(٢٠) حسين على: مفهوم الاحتمال فى فلسفة العلم المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص١٣٠.

(٢١) نازلى إسماعيل حسين: الفلسفة الحديثة، مكتبة سيد عبدالله وهبه، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٩٨.

(٢٢) حسين على: مفهوم الإحتمال فى فلسفة العلم المعاصرة، مرجع سابق، ص١٣١.

(23) Dennis A. Rohatyn: Kant, Hume and Causality, Journal for General Philosophy of science, Vol.6, No.1(1975), p.34.

(24) Ibid: p.36.

(٢٥) الخشت: العقل .. وما بعد الطبيعة، مصدر سابق، ص٥٦.

(٢٦) المصدر السابق: ص ص٥٦ ،٥٧.

(٢٧) الخشت: مدخل إلى فلسفة الدين، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١١.

(٢٨) المصدر السابق: ص١٤.

(٢٩) المصدر السابق: ص١٩.

(٣٠) المصدر السابق: ص١٨.

(٣١) الخشت: نحو تأسيس عصر دينى جديد، نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٧م، ص٥٦.

(32) John Hick: Philosophy of Religion, Prentice Hall, Hnternational, Hnc, Fourth Edition, 1990, p.1.

(٣٣) مصطفى فواز صديق مناع: فلسفة الدين عند هيوم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠١١م، ص ١٤.

(34) John Hospers: An Introduction to Philosophical Analysis, Routledge and Kegan Paul LTD, California, Second Edition, 1996, p.425.

(٣٥) الخشت: مدخل إلى فلسفة الدين، مصدر سابق، ص٣٥.

(٣٦) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٣٧) على حسين قاسم: فلسفة الدين عند مارتن بوبر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادى، ٢٠٠٠م، ص١٢١..

(٣٨) هيوم: محاورات فى الدين الطبيعى، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، تصدير: عثمان أمين، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٥٦م، ص١٢.

(٣٩) المصدر السابق: ص١١.

(٤٠) مونيس بخضرة: محمد عثمان الخشت فيلسوف الترحال والتأويل والجرأة، بحث منشور فى عقلانية بلا ضفاف – الظاهرة الدينية والسياسية فى أعمال الخشت الفكرية، تحرير د. غيضان السيد على، مراجعة وتقديم أ.د. عصمت نصار، دار الكتاب العربى، دمشق – القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٥٣.

(٤١) الخشت: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٧.

(٤٢) عبدالرحمن بدوى: نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥م، ص٣١.

(٤٣) صفاء عبد السلام جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ١٦.

(٤٤) ول ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوى، ترجمة د. فتح الله المشعشع، مكتبة منشأة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م، ص ٥١٧.

(45) B. Russell: My Mental Development, in: the Philosophy of Bertrand Russell, edited by, p. A. Schilpp, The Library of Living Philosophers, Tudor Publishing company, New York, 1951, P.4.

(٤٦) برتراند رسل: سيرتى الذاتية، ترجمة/ عبدالله عبدالحافظ وآخرون، مراجعة شوقى السكرى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٥٣.

(٤٧) الخشت: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، مصدر سابق، ص٧.

(٤٨) المصدر السابق: ص٨.

(٤٩) مونيس بخضرة: محمد عثمان الخشت فيلسوف الترحال والتأويل والجرأة، مرجع سابق، ص ص ٥٣، ٥٤.

(٥٠) الخشت: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، مصدر سابق، ص١٤.

(51) David Hume: Natrual History of Religion, in The Philosophical Works of David Hume, Vol, IV, printed for Adam Black and Charles Tait, London, 1826, p.436.

(52) Ibid: p.436.

(53) Ibid: p.437.

(٥٤) الخشت: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، مصدر سابق، ص١٥.

(٥٥) المصدر السابق: ص١٦.

(٥٦) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(57) David Hume: Natrual History of Reli-

gion, op. cit, p.499.

(٥٨) الخشت: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، مصدر سابق، ص١٧.

(٥٩) المصدر السابق: ص١٨.

(٦٠) المصدر السابق: ص١٨.

(61) Abraham Sesshu Roth: What was Hume`s problem eith personal Identity, Philosophy and Phenomenological Research, Vol 61, No, 1 (jul., 2000), p. 111.

(62) Aaron Thomas Holland: Natural Belief and Hume`s Philosophy of Religion, degree of Doctor of Philosophy, Philosophy dept., University of Utah, 2005, p.1.

(63) Ibid: p. 1.

(٦٤) الخشت: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، مصدر سابق، ص ٢٠.

(٦٥) المصدر السابق: ص٢١.

(٦٦) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٦٧) الخشت: المعقول واللامعقول فى الأديان – فلسفة الدين بين العقلانية النقدية والعقلانية المنحازة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٢٨.

(٦٨) منى أحمد محمود: فلسفة الدين عند جون هِك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، ٢٠١٥، ص٢١٧.

(69) Michael B. Gill: A fundamental Difference between Hutcheson and Hume, Hume studies, Volume xxii, N.1, (April 1996), p.23.

(70) John Hick: Philosophy of Religion, op. cit, p.2.

(٧١) الخشت: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، مصدر سابق، ص ٢٢.

(٧٢) توفيق الطويل: قضايا من رحاب الفلسفة والعلم، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م ، ص ٢١٨.

(٧٣) الخشت: مدخل إلى فلسفة الدين، مصدر سابق، ص٢١.

(٧٤) هيوم: محاورات فى الدين الطبيعى، مصدر سابق، ص١٨.

(٧٥) الخشت: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، مصدر سابق، ص٢٣.

(٧٦) هيوم: محاورات فى الدين الطبيعى، مصدر سابق، ص٣١.

(٧٧) الخشت: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، مصدر سابق، ص٣١.

(٧٨) هيوم: تحقيق فى الذهن البشرى، مصدر سابق، ص٥٣.

(٧٩) الخشت: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، مصدر سابق، ص٣٢.

(٨٠) هيوم: تحقيق فى الذهن البشرى، مصدر سابق، ص٥٣.

(٨١) المصدر السابق:ص ١٤٨.

(٨٢) وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة د. محمود سيد أحمد، مراجعة د. إمام عبدالفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ٢٠١٠م، ص٢٣.

(٨٣) الخشت: ثغرات فى جدار الإلحاد، بحث منشور فى مجلة الاستغراب، تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد السابع، السنة الثالثة، ربيع ٢٠١٧م، ص١٣٩.

(84) Micheal Jubien: Contemporary Metaphysics "An Introduction" , Black Well, U. S. A, 1997, p.1.

وانظر أيضًا – يوسف كـرم: الطبيعة وما بعد الطبيعة، دار المعارف ، القاهرة، الطبعة الثالثة، د. ت، ص١٣٣.

(٨٥) الخشت: نحو تأسيس عصر ديني جديد، مصدر سابق، ص١٣١.

(٨٦) ديفيد هيوم: تحقيق فى الذهن البشري، مصدر سابق، ص٢٧.

(٨٧) المصدر السابق: ص٣٠.

(٨٨) المصدر السابق: ص٣٢.

(٨٩) الخشت: أقنعة ديكارت العقلانية تتساقط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٩.

(٩٠) الخشت: العقل .. وما بعد الطبيعة، مصدر سابق، ص١٠.

(٩١) الخشت: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، مصدر سابق، ص٦٠.

(٩٢) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٩٣) الخشت: العقل.. وما بعد الطبيعة، مصدر سابق، ص١٠.

(٩٤) المصدر السابق: ص١٠.

(٩٥) هيوم: تحقيق فى الذهن البشري، مصدر سابق، ص٣٠.

(٩٦) الخشت: العقل.. وما بعد الطبيعة، مصدر سابق، ص١٠.

(٩٧) المصدر السابق: ص١١.

(٩٨) المصدر السابق: ص١١.

(٩٩) الخشت: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، مصدر سابق، ص٥٤.

(١٠٠) المصدر السابق: ص٥٥.

(١٠١) المصدر السابق: ص ص٥٤، ٥٥.

(١٠٢) المصدر السابق: ص ص٥٦، ٥٧.

(١٠٣) المصدر السابق: ص٥٧.

(١٠٤) المصدر السابق: ص٥٨.

(١٠٥) المصدر السابق: ص٥٩.

(١٠٦) الخشت: العقل.. وما بعد الطبيعة، مصدر سابق، ص١١٤.

(١٠٧) هيوم: محاورات فى الدين الطبيعى، مصدر سابق، ص١٧.

(١٠٨) المصدر السابق: ص٣١.

(*) يشير الباحث إلى أن موقف "آير" فى رفضه للميتافيزيقا اعتمادًا على مبدأ التحقق من المعنى كان له أثر كبير فى مصر عند الدكتور: زكى نجيب محمود، حيث يقول المفكر المصري زكى نجيب محمود فى مقدمته لتجديد الفكر العربي:"لم تكن قد أُتيحت لكاتب هذه الصفحات فى معظم أعوامه الماضية فرصة طويلة الأمد تمكنه من مطالعة صحائف تُراثنا العربي على مهل، فهو واحد من المثقفين العرب (يقصد نفسه) الذين فُتحت عيونهم على فكر أوروبي، ولبثت هذه الحالة مع كاتب هذه الصفحات أعوامًا، ثم أخذته فى أعوامه الأخيرة (يقصد هنا آير ممثلاً للفكر الأوروبي الوضعي المنطقي) صحوة قلقة". انظر – زكى نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت – لبنان، ١٩٧١م، ص ص ٥، ٦.

(**) كان أستاذًا للفلسفة بجامعة الإسكندرية قبيل الحرب العالمية الثانية وأثناءها (بعدها استقر فى جامعة كيمبردج) حيث حاول "ويزدم" أن يكتشف الحالات النفسية التى تمهد لظهور أعراض الفكر الميتافيزيقي، كما هاجم حقل البحث الميتافيزيقي بوصفه خرافة. انظر – عبدالفتاح الديدي: الاتجاهات المعاصرة فى الفلسفة، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص٢٩١.

(١٠٩) محمود رجب: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٣٨.

(١١٠) زكي نجيب محمود: موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٢٠١.

(111) Hans Reichenbach: The Nature of Ethics, in, Essential Readings in Logical Positivism, Edited by, Oswald Hanfling, Basil Blackwell, first published, Oxford, 1981. P.227.

(112) Ibid: p. 242.

(١١٣) الخشت: أخلاق التقدم – رؤية فلسفية تطبيقية، تقديم د. عمرو شريف، دار نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٧م، ص ٧٤.

(١١٤) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(١١٥) حسين علي: الميتافيزيقا والعلم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٣.

(١١٦) توفيق الطويل: أسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ١٠٢.

(١١٧) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة فى الفلسفة

المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٩٦.

(١١٨) الخشت: العقل.. وما بعد الطبيعة، مصدر سابق، ص١١٥.

المصادر والمراجع:

أولًا: مصادر د. الخشت، وديفيد هيوم بالعربية والإنجليزية:

- **محمد عثمان الخشت**: الدين والميتافيزيقا فى فلسفة هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ـــــــــ: أقنعة ديكارت العقلانية تتساقط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ـــــــــ: مدخل إلى فلسفة الدين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ـــــــــ: المعقول واللامعقول فى الأديان – فلسفة الدين بين العقلانية النقدية والعقلانية المنحازة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ـــــــــ : العقل.. وما بعد الطبيعة – تأويل جديد لفلسفتى هيوم وكانط، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠١٣م.
- ـــــــــ: نحو تأسيس عصر دينى جديد، نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٧م.
- ـــــــــ: أخلاق التقدم – رؤية فلسفية تطبيقية، تقديم د. عمرو شريف، دار نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٧م.
- ـــــــــ : ثغرات فى جدار الإلحاد، بحث منشور فى مجلة الاستغراب، تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد السابع، السنة الثالثة، ربيع ٢٠١٧م.
- ديفيد هيوم: تحقيق فى الذهن البشري، ترجمة د. محمد محجوب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ـــــــــ: محاورات فى الدين الطبيعى، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، تصدير: عثمان أمين، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٥٦م.
- Hume (David): Natrual History of Religion, in The Philosophical Works of David Hume, Vol, IV, printed for Adam Black and Charles Tait, London, 1826.

ثانيًا: مراجع البحث العربية.

- **توفيق الطويل**: أسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٢م.
- ـــــــــ: قضايا من رحاب الفلسفة والعلم، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م.
- **حسن حنفى**: مقدمة فى علم الاستغراب، الدار الفنية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م.
- **حسين على**: مفهوم الإحتمال فى فلسفة العلم المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى،

١٩٩٤م.

- ـــــــ: الميتافيزيقا والعلم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- زكى نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت – لبنان، ١٩٧١م.
- ـــــــــ: موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٣م.
- صفاء عبد السلام جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م.
- **عبدالرحمن بدوى**: نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥م.
- عبد الفتاح الديدي: الاتجاهات المعاصرة فى الفلسفة، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٦٦م.
- **غيضان السيد على**: الخشت.. ووجه آخر للفيلسوف – ظاهرة الاشتباه فى الفلسفة الحديثة، بحث منشور فى – عقلانية بلا ضفاف – الظاهرة الدينية والظاهرة السياسية فى أعمال الخشت الفكرية، مراجعة وتقديم أ.د. عصمت نصار، دار الكتاب العربى، دمشق – القاهرة، ٢٠١٣م.
- **محمد مهران، محمد مدين**: مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- **محمود رجب**: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٧م.
- **مونيس بخضرة**: محمد عثمان الخشت فيلسوف الترحال والتأويل والجرأة، بحث منشور فى عقلانية بلا ضفاف – الظاهرة الدينية والسياسية فى أعمال الخشت الفكرية، تحرير د. غيضان السيد على، مراجعة وتقديم أ.د. عصمت نصار، دار الكتاب العربى، دمشق – القاهرة، ٢٠١٣م.
- **نازلى إسماعيل حسين**: الفلسفة الحديثة، مكتبة سيد عبدالله وهبه، القاهرة، ١٩٨٧م.
- **يوسف كـرم**: الطبيعة وما بعد الطبيعة، دار المعارف ، القاهرة، الطبعة الثالثة، د. ت.
- ـــــــ: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة،١٩٨٥م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية.

- Gill (Michael B.): A fundamental Difference between Hutcheson and Hume, Hume studies, Volume xxii, N.1, (April 1996).
- Hick (John): Philosophy of Religion, Prentice Hall, Hnternational, Hnc, Fourth Edition, 1990.
- Hospers (John): An Introduction to Philosophical Analysis, Routledge and Kegan Paul LTD, California, Second Edition1996.
- Jubien (Micheal): Contemporary Metaphysics "An Introduction", Black Well, U. S. A, 1997.

- Kenny (Anthony): The Rise of Modern Philosophy, Vol, III, Clarendon press, Oxford, 2006.
- Lacey (A.R.): A Dictionary of Philosophy, Routledge & Kegan Paul, Ltd, third edition, 1996.
- Miller (Hugh): The Naturalism of Hume, the Philosophical Review, Vol.38, No.5 (sep. 1929).
- Reichenbach (Hans): The Nature of Ethics, in, Essential Readings in Logical Positivism, Edited by, Oswald Hanfling, Basil Blackwell, first published, Oxford, 1981.
- Reichenbach (Hans): The Nature of Ethics, in, Essential Readings in Logical Positivism, Edited by, Oswald Hanfling, Basil Blackwell, first published, Oxford, 1981.
- Rohatyn (Dennis A.): Kant, Hume and Causality, Journal for General Philosophy of science, Vol.6, No.1 (1975).
- Russell (Bertrand.): My Mental Development, in: the Philosophy of Bertrand Russell, edited by, p. A. Schilpp, The Library of Living Philosophers, Tudor Publishing company, New York, 1951.

رابعًا: المراجع الأجنبية المترجمة إلى العربية.

- **الفلسفة الحديثة**، ترجمة د. محمود سيد أحمد، مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ٢٠١٠م.
- **برتراند رسل**: سيرتى الذاتية، ترجمة/ عبد الله عبد الحافظ وآخرون، مراجعة شوقى السكرى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م.
- **ول ديورانت**: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوى، ترجمة د. فتح الله المشعشع، مكتبة منشأة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م.

خامسًا: الرسائل الجامعية.

- **على حسين قاسم**: فلسفة الدين عند مارتن بوبر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادى، ٢٠٠٠م.
- **مصطفى فواز صديق مناع**: فلسفة الدين عند هيوم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠١١م.
- **منى أحمد محمود**: فلسفة الدين عند جون هِك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، ٢٠١٥.